



روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل

لهيب الثلج



www.dvd4arab.com

المؤسسة العربية للدراسات والبحوث
الطبعة الأولى: ٢٠٠٤
الطبعة الثانية: ٢٠٠٥



٤٦

رجل المستحيل • لهيب الثلج • ٤٦ • المؤسسة العربية للدراسات والبحوث

المؤلف



د. نيل هارون

رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للهيب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة

٤٦

التمثيل في مصر

وما يعادل دولارا
أمريكانيا في مصر
الدول العربية
والعالم

لهيب الثلج

- كيف نوصل (أدهم صوري) إلى مكان زميله، التي فقدتها وسط الفوج (موسكو) ؟
- ماذا سيعمل الرقيق (ياكوف) ، لمواجهة (رجل المستحيل) في بلاده ؟
- نرى... أينجح (أدهم) في إنقاذ (منى) ، أم يبقى حقه وسط هيب الثلج ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، لتري كيف يعمل (رجل المستحيل) .



العدد القادم : الرصاصة الذهبية

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - الأصدقاء ..

تولفت سيارة سوداء صغيرة ، أمام السفارة المصرية في (موسكو) ، وهبط منها رجل يدين الجسم ، طفولى الملامح ، وبعده رجل طويل ، ممشوق القوام ، أسرع كلاهما يبرز أوراقه للجندى السوفيتى ، المكلف حراسة مبنى ، ثم تقلعا إلى السفارة بخطوات سريعة ، ولقد استقبلهما السفير المصرى بنفسه ، وقال الطويل يقدم نفسه إلى السفير :

— المقدم (حازم عبد الله) من المخابرات المصرية يا سيدي .
السفير .. وهذا زميل (قدرى) ، غير التزييف في الإدارة .
اتسم السفير ، وهو يلمح تولر (قدرى) ، وتلفه حوله ، وقال في هدوء :

— تسعدنى مقابلتكما ، إنه ينتظركا في شوق .
تركزت نظرات (قدرى) على وجه السفير ، وهتف في لهفة :

— أين هو يا سيدي ؟

جاء من خلفه صوت هادئ ، يقول لى وُد :

— عطفك يا صديقى البدين .

استدار (قدرى) لى سرعة وخفة ، لا يتناسبان مع حجمه الضخم ، وهبط لى سعادة :

— (أدهم) ؟ .. ما أسعدنى الآن !!

ثم اندفع نحو (أدهم صبرى) ، وعانقه لى وُد ، ورُبّت على كتفيه لى قوة ، فضحك (أدهم) وهو يقول مداعبًا :

— يا إلهى !! .. هل يسيرون القطارات داخل السفارة ؟

أطلق (قدرى) ضحكة عالية مجملجة ، وصاح لى مرح :

— أو حششى دعاباتك يا صديقى العزيز .. كيف حالك ؟

الظن (أدهم) بصافح (حازم) لى حرارة ، وهو

يقول :

— فى بحر حال أيها الأصدقاء .. كيف حالكما أنيا ؟

أجاب (حازم) لى وصانة :

— لقد أنيا هنا فى مهمة رسمية يا صديقى .. فحين نحت

إمرتك ، حتى نستعيد (منى) .

بعث ذكر (منى) مزيجًا من الحنان والحزن لى عيني

(أدهم) ، وقال لى هدوء ، وإن لم صوته المخطج عن انفعاله :

— حمدا لله على سلامتكما يا صديقى .. ستناول وجبة

خفيفة ، حتى نسد جوع صديقنا (قدرى) ، ثم أقص عليكما

القصة كلها فى مكتب سيادة السفير ، ونحن نشرب الشاي على

الطريقة المصرية .

ثم استعاد صوته وزائته ، وهو يردف لى حزم :

— هيا بنا .

جلس رجال المخابرات الثلاثة يشربون الشاي المصرى ، لى

حجرة السفير ، واعتدل (أدهم) وهو يقول :

— أنيا تعرفان بالطبع كيف بدأت القصة ، بإلقاء القبض

على شبكة تجسس فى مصر ، وهروب زعيمها (أندرية جريج)

إلى (موسكو) ، قبل الإيقاع بالشبكة ، ثم كلفتى المخابرات

المصرية الحضور إلى هنا ، وإلقاء القبض على ذلك الوغد ،

وإعادةه إلى القاهرة .. ولقد حاولنا ذلك بالفعل ، ولكن ذلك

الوغد تأمر حذنا ، وتسبب ذلك فى وقوعنا فى فخ أعدته لنا

سلطات مكافحة التجسس السوفيتية ، بقيادة الرقيق

(باكوف) ، الذى ألقى القبض علىّ ، وأطلق رجاله النار

على (منى) ، وتم اعطاني في (سيوها) (*) .

صمت (أدهم) عند هذه النقطة ، وكأنه يستعيد ذكرى هذه اللحظات ، ثم استطرد :

— ول (سيوها) استسلمت أنا تمامًا للأمر ، وأنا أظن أن (منى) قد قبلت حظها ، ثم عرفت بمحض الصدفة أنها ما زالت على قيد الحياة ، في مكان ما في (موسكو) .. وهنا قررت الفرار من أكثر معطلات العالم هؤلاء .. وبعد مخاطر رهبة ، وصلت أنا وذلك الوعد (أندريه) إلى سلازما هذه ، وتم ترحيله إلى القاهرة ، واعتبرت المهمة منتهية وناجحة عند هذه النقطة ، ولكنني قررت عدم العودة إلى القاهرة ، ولأبعد استعادي (منى) (**) .

صمت (أدهم) مرة أخرى ، ثم رفع عينيه إلى زميله ، وقال في هدوء :

— ولن يكون ذلك الأمر بالخير ، أو البسيط يا صديقي .. سيكون أمرًا أشد هولًا مما سبق ، حتى أنني أكاد أشتد والحة جليد يلتهم في (موسكو) .

(*) راجع الجزء الأول (العين الثالثة) .. المقابلة رقم (٤٤) .

(**) راجع الجزء الثاني (الضحايا الجليدية) .. المقابلة رقم (٤٥) .

تبادل (قدرى) و (حازم) نظرات باسمة ، ثم رفع (قدرى) حنية صغيرة ، وضعها فوق المنضدة ، وفتحها وهو يقول :

— أصدقك القول يا صديقي ، أن السوفييت يقتضون خطاب زؤارهم بدلة متعاهية ، ويروج من الشك الغريزي ، يجعل من المستحيل تقريبًا تهريب أى سلاح إلى داخل بلادهم ، ولكن ... ارتسمت ابتسامة خفية على شفاهه ، وهو يستطرد :

— ولكنهم أخرجوا عن محرمات حقني الصغيرة هذه ، دون أن تراودهم ذرة واحدة من الشك .

وأدار الحقيبة المفتوحة لتواجه (أدهم) ، وأردف :

— وهي لا تخفى كما ترى سوى معجون خلقة ، ومعجون أسنان ، وألمة من البلاستيك ، وعدد من زجاجات العطر ، وبعض الأفلام ، وأوراق الكتابة .

سأله (أدهم) ، وهو يتسم في هدوء :

— هل تنفجر الأفلام ؟

أطلق (قدرى) ضحكة مجلجلة ، وقال :

— لقد انقضى عهد الأفلام المضخمة منذ زمن طويل

يا صديقي .. إن ما تحويه هذه الحقيبة هو مجموعة من أفضل

مبتكرات القسم العلمي بالإدارة .

ثم التفت اللبنة البلاستيكية ، وأخذ يحل أجزاءها في مهارة ، وهو يقول :

— لو أننا حللنا هذه اللبنة الطريفة ، وأعدنا تركيبها بصورة أخرى ، فسنبجدها عبارة عن مسلسل من بلاستيك مقاوم للحرارة ، وأربع عزانات ذخيرة ، تحوى الواحدة عشر رصاصات قاتلة .

كان قد انتهى من تركيب المسدس البلاستيكي ، فحاوله إلى (أدهم) ، الذى أخذ يلمحبه في إعجاب ، على حين واصل (قدرى) حديثه قائلاً :

— أما زجاجات العطر ، فهي نوع متطور من صبغات الشعر ، يمكننا أن تبلل لون شعرك في لحظة واحدة ، كما يمكن إزالتها بمحلول ، يتم إنتاجه بإذابة أوراق الكتابة في كوب ماء صلب .. ومعجون الخلقة عبارة عن بولى إيثيلين سائل ، يمكنك من صنع أقنعة مشابهة تماماً لبشرة الوجه .. أما معجون الأسنان ، فهو نوع من صبغات البشرة ، يعطيه اللون المناسب ، بإضافة أحبار الأفلام ، التى تحوى قاعدتها في الوقت نفسه مجموعة مثالية من عدسات العيون الملونة .

السمت ابتسامته ، وهو يردف في سعادة :

— إنها حقبة متكاملة يا صديقى ، واخفية نفسها عبارة عن أحدث جهاز تزييف في العالم ، ومعها أفضل كمبيوتر للتزوير .

عقد (أدهم) حاجبه في تساؤل ، وعنفم :

— كمبيوتر للتزوير ؟

أشار (قدرى) إلى صدره ، وقال في مرح :

— إنه أنا يا صديقى ، في عذمتك حتى لتسجد (منى) مقاً .

أطلت نظرة امتنان من عيني (أدهم) ، ونهض إلى النافذة ، وكأنه يحاول إخفاء انفعاله ، وساد الصمت طويلاً في الخجرة ، ثم استدار إليهم (أدهم) ، وقال في صوت هادئ قمرى :

— لقد أثبتنا لى أن الأصدقاء المخلصين ، هم خير هبة من

الله (سبحانه وتعالى) في هذه الحياة .. وبمعاونتكما مستعبد (منى) .. مستعبدتها يا رفاق .

٢ - في ظلام الليل ..

دفع الرقيق (ياكوف) باب حجرته في حلق واضح ،
وجلس إلى مكتبه وهو يحمم بكلمات ساخطة ، مما حدا بزميله
(إيفانوف) إلى سؤاله مبتسماً :

— ماذا بك ؟

صاح (ياكوف) في غضب :

— هؤلاء الأطباء الحمقى في الإدارة ، إنهم يقفون في
طريقي .. إنني أفكر جدياً في إرسالهم إلى (سيبيريا) .
أخفى (إيفانوف) ابتسامته في صغوبة ، وهو يسأله :

— ألم تسعد المصيبة ذاكرتها بعد ؟

صاح (ياكوف) في حلق :

— نعم .. إنها تدعى أنها لا تذكر شيئاً ، وهؤلاء الأطباء
الحمقى يؤيدون قولها .

بدلت ملامحه ، وهو يقول في غيظ :

— ولكنني واثق من أنها تخدعني .. شعور قوي في أعماق
يؤكد لي ذلك .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم قال (إيفانوف) ، وهو
ينظر في ساعته :

— لقد انصف الليل ، سأعود إلى منزلي .

نهض (ياكوف) ، وقال :

— حسناً .. أعقد أنني أحتاج أيضاً إلى بعض الراحة .

في طريقهما إلى منزليهما المتجاورين ، قال (إيفانوف) :

— أما من أخبار عن رجل المخابرات المصري ؟

زفر (ياكوف) في ضيق ، وقال :

— يجيل المسئولون إلى فكرة هروبه خارج البلاد ، ولكنني

واثق من أنه مازال هنا ، في قلب (موسكو) .

ولم (إيفانوف) حاجيه في دهشة ، وغمغم :

— هل لديك دليل قوي ؟

هز (ياكوف) رأسه نفيًا ، وقال :

— ولا حتى دليل ضعيف ، ولكن تعامل السابق معه ،

يؤكد لي أنه لن يفلت (موسكو) ، ما لم يستعد رفيقته .

هبط (إيفانوف) في دهشة :

— ولكنك أخبرتني أنه يظن في عداد الأموات .

تهدد (ياكوف) ، وقال :

— لقد عرف بشكل أو بآخر .. فقد أعطانا غنى ، حينما أرسلنا الطريق الطويل الذي أنقذ حياتنا إلى (سيبيريا) أيضا ، ولا ريب أن أحدهم أخيره بالأمر ، دون أن يدري .

صمت (إيفانوف) لحظة ، لمسوعب كلمات (ياكوف) ، ثم هز كتفيه ، وعطش فغصه وهو يقول :

— لن يمكنه الوصول إليها بأي حال من الأحوال ، فهي تحت حراسة مشددة ، داخل إدارة مكافحة التجسس ذاته .

ابسم (ياكوف) ابتسامة تجمع بين السخريّة والمرارة ، وقال :

— مع مثل هذا الرجل ، لا يوجد مستحيل أبدا الرقيق ، هل نسيت أنه نجح في الفرار من (سيبيريا) ؟

ساد الصمت بينهما غائما بعد هذا التعليق ، حتى توقفت بهما السيارة أمام منزل (ياكوف) ، فهبط منها في صمت ، ودون أن يتبادل تحية المساء مع زميله ، وأسرع إلى منزله .. ولم يكذب بخلق باهه خلفه ، حتى هرعته إليه ابنته الصغيرة ، وتعلقت بحلقه وهي تصيح في مرح :

— هل أحضرت لي بعض الحلوى يا أبته ؟

رئت على شمرها الأشقر انعام لي حنان ، ثم التقط من جيب معطفه كيسا من الحلوى ، ناولها إياه وهو يقول في عاطفة :

— مشاكل الدنيا كلها لا يمكن أن تهيبني إياه يا (مارتينا) .

التقطت الصغيرة كيس الحلوى في سعادة ، وقبلت والدها ، ثم أسرعته إلى أمها تريها الكيس ، كما اعتادت كل مساء . وابتمت والدتها وهي تقول لـ (ياكوف) :

— متفقد أسنانها بحلولك هذه . ابسم في هدوء ، وهو يعلق معطفه فوق المشجب ، ثم توجه إلى حجرة مكتبه ، فسأله زوجته :

— ألن تناول طعام العشاء ؟ أجاب في صرامة :

— لا شهية لدي .. اذهبي أنت والصغيرة إلى الفراش ، وسأعمل أنا بعض الوقت ، ولا أحب أن يزعمني أحد . ثم غاب داخل مكتبه ، وأغلق الباب خلفه في إحكام ، وأضاء الحجرة ..

لم يكذب الضوء بغير حجرة مكتبه ، حتى صبح من خلفه صوتا هادئا ، يقول :

— كيف حالك يا عزيزي الرقيق الجنرال ؟

استدار (ياكوف) إلى مصدر الصوت في حركة حادة ،
وانسحبت عيناه في ذهول ، وهو يحث في صوت مختلق قلزده
الدهشة :

— أنت ١٢

كان أمامه (أدهم صري) ، يتسم في هدوء ، وبصوب
إليه مسألة المصنوع من البلاستيك .

مرت فترة طويلة من الصمت ، وكلاهما يحدق في وجه
الآخر ، حتى غمغم (ياكوف) في حلق :

— كيف وصلت إلى هنا ؟.. كيف تجاوزت حراس
المبنى ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول في هدوء :

— لم تعد مثل هذه الأمور تثير في نفسي القلق .

تبادل الاثنان نظرات تفهيم بالتحسلي ، ثم عاد

(ياكوف) يسأله :

— ماذا تريد ؟

أجاب (أدهم) في صرامة :

— مني .

عقد (ياكوف) حاجبيه ، وهو يغمغم في خيرة :

— (مني) ١٣

قال (أدهم) :

— ريليتي ، التي تحفظون بها .

ابتسم (ياكوف) في دهاء ، وقال :

— اسمها (مني) إذن ، هذه أول معلومة أحصل عليها
بشأنها .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال (أدهم) في هدوء :

— لم أكن أحب أبداً أن أناصرك العداء أيها الرقيق

(ياكوف) ، فأنت رجل ممتاز ، تؤدي عملك في مهارة

وإخلاص ، وأنا أيضاً أؤدي عمل ، ولا توجد خصومات بين

دولنا ، وكل ما أسعى إليه هو أن أعود زميلتي إلى القاهرة .

قال (ياكوف) في صرامة :

— لقد عملنا ضد الاتحاد السوفيتي ، ونحن لا نغفر

هذا .

مطأ (أدهم) شفتيه ، وقال :

— لقد عملنا في الاتحاد السوفيتي ، وليس ضده .

يا صديقي ، ولم تكن تهدف إلى أي مواطن سوفيتي ، لو أي هدف هنا ، وإنما كانت مهمتها تتمحور في إلقاء القبض على جاسوس أساء إلى دولتي ، وإعادته إليها ، لثم محاكمته هناك .

قال (ياكوف) في غضب :

— كان يمكن لدولتكم طلب ذلك رسميًا .

ابسم (أدهم) ، وقال :

— لست أميل إلى الخوض في المناقشات السياسية

يا صديقي .. ولكن لو أننا فعلنا ذلك ، لكنتم ستلقون القبض عليه حقًا ، ولكنكم ستحفظون به هنا إلى الأبد ، وسيعاوض هذا مع حاجتنا إلى المعلومات التي لديه .

لم يمر (ياكوف) جرائها عند هذه النقطة ، فقد كان يعلم أن (أدهم) محق ، ولكنه عاد يقول في عناد وصرامة :

— لا يمكنني أن أسلمك رفيقتك ، ولن يمكنك الوصول إلى مكانها قط .

ابسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— إنني أعلم أين هي ، وكيف يمكنني استعادتها .

هبط (ياكوف) في حزم :

— أتخذك .

ابسم ابسم (أدهم) ، وأخّل من عينيه بريق خفيف ، وهو يقول :

— حسنًا أيها الرفيق .. إنكم تحفظون بها في القسم الطيني ، التابع لإدارة مكافحة التجسس ، وهو المبنى الصغير ، المكوّن من طابقين ، إلى يسار مدخل الإدارة ، ويرأسه الجنرال طيب (روماتوف) ، وهو رجل طويل ، رياضي ، صارم للغاية .

تدلّت فمك (ياكوف) السلفية ، أمام هذا السيل من المعلومات السريّة ، الذي يتدفّق من فم (أدهم) ، ولكنه سرعان ما تمألك جائشه ، وقال في غضب :

— حتى وإن كنت تعلم أين هي ، فلن يمكنك الوصول إليها .. ما من أجبي يمكنه أن يخطأ أرض مكتب مكافحة التجسس السوفيتي بإرادته .

ابسم (أدهم) في هدوء ، وقال في برود :

— ربما لن أتيح في ذلك ، ولكن الرفيق الجنرال (ياكوف) سيفعل .

ول حركة مفاجئة رشيقة ، انقضّ (أدهم) على (ياكوف) ، ولكنه لكمة صاعقة ، ألقت به أرضًا ، وسلبت منه الوعي .

٣ - الرفيق المزيف ..

استيقظت زوجة (ياكوف) في قلق ، ونظرت في ساعتها ،
فوجدت عقاربها تشير إلى الثانية صباحاً .. فغادرت فراشها ،
وتوجهت إلى غرفة مكتب زوجها ، في محاولة لدعوته لبعض
النوم ، قبل أن تشرق الشمس .. ولكنها لم تكد تغادر حجرتها ،
حتى رآته واقفاً وسط زدهة المنزل المظلمة ، مرتدياً بزة الرسمي ،
ويطلق معطفه من المشجب ، فسألته في قلق :

— إلى أين يا (ياكوف) ؟

لم تلمح ملامحه شيئاً وسط الظلام ، ولكنه أجابها في
عشوية :

— هناك عمل عاجل يحتاج إلىّ في الإدارة .

بدت لها لمحة عجيبة ، ولكنها ازدردت لثعابها ، وعادت
تسأله في استسلام :

— هل مستغرب كثيراً ؟

ازدردى معطفه ، وهو يقول في حرامة :

— ربما .

ثم فتح باب المنزل ، وسأها :

— هل نامت (ماوتينا) ؟

أجابته في دهشة :

— بالطبع .. إنها الثانية صباحاً .

تروح لها بكفّه ، على نحو لم تعده من قبل ، وأغلق الباب
عقله ، ثم أسرع إلى سيارته ، وأدار محركها ، وانطلق بها
مبعثاً .. ومن خلف نافذة منزله ، أطلّت زوجة في مزيج من
القلق والخيرة ، ثم غمضت في شحوب :

— عجباً !! إنه يبدو غتظاً تماماً هذه الليلة .

رفع جندي الحراسة ، في إدارة مكافحة التجسس
السوفيتية فؤحة مدفعه الرشاش ، في وجه السيارة التي غمرته
أضواؤها المبهرة ، وهتف في صوت جهوري صارم :

— قف من أنت ؟ .. كلمة سرّ الليل .

صكّ مسامعه صوت غاضب يقول :

— أنا الذي ألقك إياها أيها اللص .

میز الجندي وجه الرجل ، الذي هبط من السيارة ، وفرن

ملاحه بصوته المميز ، فأسرع بخفض لوزته مدغمه
الرشاش ، ويرفع يده بالتيحة العسكرية ، قائلاً في احترام :
— طاب مساءك يا سيدي الرقيب الجنرال (ياكوف) ،
معذرة ، فلم أتوقع ...

الترب منه (ياكوف) ، وخذذه بنظرة قاسية صارمة ،
وهو يقاطعه قائلاً :

— لم تتوقع ماذا أيها الرقيب الجندي ؟... إن واجبي يحتم
عليّ أن ألتفتكم بزيارة ليلية من آن إلى آخر .

ارتجف الجندي ، وهو يتخط وقفه العسكرية ثابتة ، على
حين غبر (ياكوف) بوابة المبنى بخطوات واسعة ، وسار نحو
الجناح الطي ، وصاح في وجه حارسه ، وهو يهبط بابه :
— أيقظ الجنرال (رومانوف) ، واطلب منه أن يلدق في

في حجرة الفتاة المصرية .

أسرع الحارس يطيع الأمر ، على حين أشار (ياكوف) إلى
حارس آخر في غطرية ، وقال :

— تقدمني إلى حجرتها أيها الجندي .

تحرك الجندي أمامه في سرعة ، حتى توقف أمام حجرة في
نهاية الممر ، فدفع (ياكوف) بابها ، وقال للحارس في
صرامة :



ثم فتح باب الدور ، وسأله :

— هل نامت (عازتها) ؟

— لا تسمح لأحد بالدخول ، باستثناء الرئيس
(رومانوف) .

ثم أغلق الباب خلفه ، وأضاء الحجر ، ووقف لحظة يتأمل
(منى) التى بدت كملاك نائم ، وهى ترقد مغمضة العينين ،
لحوق فراش أبيض يوسط حجرة نظيفة ، أنيقة .. وتبدلت ملامح
(ياكوف) فى لحظة ، وتلاشت الصرامة من وجهه تمامًا ،
وحل محلها شعور جارف بالحنان والعاطفة ، وغلب وهو
يتأملها فى ارتياح :

— هانحن أولاء قد التقينا أخيرًا يا عزيزتى .

* * *

اقترب (أدهم) ، الذى يتحمل شخصية (ياكوف) ،
من (منى) فى هدوء ، ووقف يتأملها لحظة ، فى حنان بالغ .
ثم مد أنامله ، وغسّس جبينها فى حبّ ، فخرجت بها
لترجف ، وتفتح عينها على أناسعهما ، وتحديق فى وجهه يمزج
من الدهشة والخوف ، ثم هبطت فى عصبية :

— ماذا تريد منى ؟

ابسم (أدهم) فى حنان ، وهمس :

— لا تدعى تلك الملامح تخدعك يا عزيزتى .. إنه أنا ..

(أدهم) .

عقدت حاجبيها فى خيرة أدهشته ، وغمغمت وكأنها تردّد
اسمًا لم تسمعه من قبل :

— (أدهم) ؟

أدهشته خبرها ، فأمسك كفيها فى حنان ، وهمس :

— أنا (أدهم صوى) يا عزيزتى .. ألم تصغى صوتى ؟ ..

ألم تفصح عني نوراى ؟

اخطط الخوف فى عينها بمزج من الخيرة والقلق ،
والعكس قلقها على صوت (أدهم) ، وهو يسألها :

— ألا تذكرين هذا الاسم مطلقًا ؟

هزّت رأسها نفيًا فى خيرة ، وغمغمت فى استحالة :

— كفوا عن تعلبى .. باقى عليكم كفوا .

اعتدل (أدهم) عاكفًا حاجبه ، فقد كانت هذه هى المرة
الأولى ، التى يكشف فيها أمر فقدانها لذاكرتها ، وقد حطم
هذا لحظته تمامًا .. فقد كان يعتمد على تعاونها التام ، أما
والحال هكذا ، فهو يحتاج إلى إقناعها بهدوء أولاً ..

مال بوجهه نحوها ، وآله أن ابتعدت عنه بوجهها فى
خوف ، ولكنه كبت مشاعره كعادته ، وقال فى حنان
صارم :



مال بوجهه نحوها ، وأله أن ابتعدت عنه بوجهها ..

— حسنا .. ذبحنا من أمر ذاكرتك الآن ، واستمعي إليّ

جئنا .. إن الهدف من قدومي إلى هنا هو

بسر عبارته فجسداً ، واستعارت ملامحه صرامة

(ياكوف) ، وانصبب الغشا ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ،

حينما سمع صوت رجاج الباب وهو يفتح ، وكانت (منى)

تطلع إليه في دهشة ، عندما ظهر الرقيق (رومانوف) أمام

الباب ، واتسم وهو يقول :

— مرحباً أيها الرقيق (ياكوف) .. ما الجديد الذى

دفعك إلى مثل هذه الزيارة الليلية المفاجئة ؟

عقد (أدهم) حاجبيه ، وقال في صرامة ، مقلداً صوت

(ياكوف) ، ولججته :

— لقد طالت تعاملكم مع هذه الفتاة ، دون أن تصل إلى

نتائج تستحق كل هذا الوقت الضائع .

عقد (رومانوف) حاجبيه بدوره ، وقال في غضب :

— هذه أمور طيبة محضة أيها الرقيق (ياكوف) ، وهى من

صميم تخصصى ، ولن أسمح لك بـ

بسر عبارته بغتة ، حينما غمضت (منى) لى ذهول :

— لست أفهم شيئاً .. لست أفهم شيئاً .

ثم استدارت إلى (أدهم) ، وهضت في خيرة :

— لماذا يخاطبك باسم (ياكوف) ؟.. ألم تتحدث إليّ منذ

لحظات بالعربية ، وأخبرتني أنك تدعى (أدهم صوى) ؟..

من تكون حقاً ؟.. من أنت ؟.. وماذا تفعلون ؟

كانت تتحدث إليه باللغة العربية ، والنسب لا يعنى منها

(رومانوف) حرفاً واحداً ، ولكن ذكر (أدهم صوى)

جعله يخلق في وجه هذا الأخير بذهول ، ثم أسرعته يده إلى

مسدسه ، وهض في صوت مختلق :

— يا للشيطان !!! أنت لست (ياكوف) .. أنت

مزيف .. مزيف .

٤ - الصُّراع ..

استيقظت زوجة الرقيق (ياكوف) لفرقة ، على صوت جلية ، تحرك إليها أنها تبعث من حجرة مكتب زوجها .. فأسرعت إلى هناك ، وألصقت أذنها بباب المكتب ، ولكن الجلبة كانت أعلى من أن تحتاج إلى إنصات محاصر ، ولقد صحتنا المهمة ساحطة ، بما أثار رجفة لفرع في جسد الزوجة ، فطرفت الباب في تردد ، وقالت :

— (ياكوف) .. هل عدت إلى هنا ؟

أجابها هتاف مختصق ، وصوت سفوط جسم ما على الأرض .. فاستجمعت شجاعتها ، ودلعت باب المكتب ، وأسرعت تتر الحجرة .. ولم تكذب فعل حتى انبعثت من أعماقها شهقة قوية ، وهتفت في ذعر :

— (ياكوف) !! من فعل بك هذا ؟

كان زوجها يرقد على أرض الحجرة ، موقوف اليدين والقدمين ، مكبهم القسم ، يصارع في شراسة للتخلص من قيوده ، فأسرعت إليه في لفظة ، ونزعت كمامته وهي تهتف :

— من فعل بك ذلك ؟

استحق (ياكوف) الهراء في نهم ، ثم صاح في غضب :

— إنه ذلك الشيطان المصرى اللعين !!

سألك في تولد ، وهي تحل قيوده بأصابع مرتجفة :

— أى شيطان مصرى ؟

انزع معصيه من القيود ، وأسرع يحل زلائق قدميه ، وهو يقول في حق :

— لقد أفقدت وعي ، ولا ريب أنه ينتحل شخصيتي

الآن ، فهو شيطان في التنكر .

ثم قفز والفا على قدميه ، وتناول سحابة الهاتف ، وصاح

وهو يدير قرصه :

— ولكنه لا يعرف كلمة سر الليل . وسأجعل هذه

المعلومة الصغيرة تؤدي به إلى خطه .

كان حارس إدارة مكافحة التجسس السوفيتية يقف في

ليات ، حينما أسرع إليه ضابط الأمن في الإدارة ، وهتف به في

اتفعال :

— هل جاء الرقيق (ياكوف) إلى هنا ؟

أجابته الجندى ، وهو يشير إلى سيارة (ياكوف) :

— إنه بالداخل أيها الرقيق الضابط ، وما هي ذى

سيارته

قاطعه الضابط في صرامة :

— لا تسمح له بالخروج ، إنه شخص مُزَيَّف .

اتسعت عينا الجندي ذهولاً ، وغمغم :

— ولكن ؟...

أراد أن يقول أن الوجه والصوت والسيارة تؤكد أنه

(ياكوف) الحقيقي ، ولكن الضابط قاطعه في صرامة :

— نفذ الأوامر فحسب أيها الجندي .

ثم أسرع إلى الجناح الطبي ، فهزّ الجندي كفيه ، وقال :

— حسناً سأنفذ الأوامر فحسب .

أما ضابط الأمن ، فقد أسرع إلى الطابق الذي فيه حجرة

(منى) ، وصاح في جندى الحراسة هناك :

— هل الرقيب (ياكوف) هنا ؟

اعتدل الحارس في وقفته ، وأشار إلى حجرة (منى) ،

قائلاً :

— إنه داخل حجرة الفتاة المصرية ، بصحبة الرقيب

الجنرال (رومانوف) يا سيّدى .

التفت الضابط عن ابتسامة شرمة ، وغمغم :

— هكذا !؟

ثم انتزع مسدسه ، وأشار إلى الجندي ، قائلاً في صرامة :

— اتبعني أيها الجندي حاملاً مدافعك الرشاش ، سنلقى

القبض عليه هناك .

تطلّع إليه الجندي في ذهول ، وغمغم :

— معلومة أيها الرقيب الضابط .. ولكنني لا أحب أن أزعج

بنفسى في انقلاب عسكري .

استشاطت ملامح الضابط غضباً ، وصاح من بين أسنانه :

— أى انقلاب هذا أيها الأحمق ؟ هذا الذى يتحمل صفة

الرقيب (ياكوف) شخص مُزَيَّف .. ولقد اتصل الرقيب

الحقيقي ، ونهني إلى ذلك .

تردّد الجندي مرّة أخرى ، وغمغم :

— ومن أدراك ؟ لقد يكون الحقيقي يا سيّدى ..

هبط الضابط في غضب :

— الرقيب (ياكوف) الحقيقي وحده معروف وقبلى

السرى ، واسمى الكودى أيما القبلى .

ويبدو أن هذه المعلومات حقاً على درجة بالغة من

الخطورة .. فقد التفت الجندي غامقاً ، وشهر مدفعه الرشاش ،

وجع الضابط إلى حجرة (منى) ..

لم يترك الضابط باب الحجرة ، وإنما دفعه ، واندفع معه الجندي إلى الداعل ، شاهرين سلاحيهما .. وهبط الضابط في صرامة :

— سأطلق النار عند

بحر عبارته دفعة واحدة ، حينما طالعه عينا (مني) الداهلين ، الملتئين بالخبرة والدهشة ، وانظف بصره إلى حيث يرفد جسد الرقيق (رومانوف) ، وسط الحجرة ، وهبط :

— يا للشيطان !!.. ماذا حدث هنا ؟

ثم أسرع بمحاول إنعاش (رومانوف) ، الذي فتح عينيه في صعوبة وتلفت حوله صائحا :

— أين ذلك الشيطان ؟.. أين ذهب ؟

هبط الضابط :

— ماذا حدث بالضبط يا سيدي الرقيق الجنرال ؟

نهض (رومانوف) ، ونفض الغبار عن ثيابه ، وقال في خنق :

— حينما جئت إلى هذه الحجرة ، كان هناك شخص يشبه تماما الرقيق (ياكوف) ، ولكنه لم يكن هو .. لقد عرفت

ذلك من حديثه للقناة .. فأخرجت مسدسي محاولا اعتقاله ، إلا أنه تحرك فجأة وبسرعة البرق ، وأطاح بمسدسي ، ثم لكماني ، ولم أدر بعدها ماذا حدث .

استدار الضابط إلى (مني) ، وسألها في خشونة :

— ماذا حدث بعد ذلك ؟

لم تنطق بكلمة ، ولكنها أشارت إلى النافذة في صمت ، وهي تنظر إلى (رومانوف) في خيرة ، فهبط هذا الأخير : — فهبط .. لأريب أنه فر من النافذة

ثم التفت إلى جندي الحراسة ، وصاح في صرامة :

— ضع حراسة مشددة على هذه الحجرة ، وأمام نافذتها .. ولا تسمح لسواي بالدخول ، أو الخروج منها . ثم أشار إلى ضابط الأمن ، وقال :

— هيا بنا .. هناك الكثير مما يجب علينا أن نفعله الآن .. وسيكون عملنا الأول هو أن نمنع ذلك الشيطان المصري من مغادرة المكان .

٥ - الشيطان ..

أشعل (ياكوف) سيجارته ، وأخذ ينفث دخانها ، وهو يدور حول مكتبه ، في إدارة مكافحة التجسس ، وعلى مقربة منه جلس (إيفانوف) يتأقّب ، وينفث دخان سيجارة مماثلة ، على حين ألقى (رومانوف) نظرة على ساعته ، وقال في ضجر :
— إنها الخامسة صباحاً ، ولم يظهر أى أثر بعد هذا الشيطان .

غمغم (إيفانوف) :

— هذا أثر عمّر حقاً .

هبط (ياكوف) في غضب :

— ولكن أين ذهب ؟.. جدى الحراسة يؤكد أنه أعبره كلمة السر ، وأنه لم يهادر المبنى ، لا هو ولا أى شخص آخر .. ولقد فحصنا أوراق جميع الموجودين هنا ، وفحصنا كل شبر في الإدارة ، ولم نعث له على أدنى أثر .

قال (رومانوف) في حق :

— هل تبكر !؟

ساد الصمت لحظة ، ثم استدار (ياكوف) إلى (رومانوف) ، وسأله :

— أقتص على مرة أخرى ما حدث .

عاد (رومانوف) يقصّ عليه كيف دخل إلى حجرة (منى) ، وكيف تحدّثت هي إلى (أدغم) في دهشة ، لما جعله يكشف زيفه ، وكيف انقضّ عليه (أدغم) ، وأقعدته الوعى بسرعة عازقة .. واستمع إليه (ياكوف) في انبهاه ، على الرغم من أنها المرة العاشرة ، التي يطلب منه فيها إخباره بالقصة ذاتها ، ثم غمغم وكأنه يحدث نفسه :

— هذا يؤكد إذن أن الفتاة لم تستعد ذاكرتها حقاً ، وألا

لما كشفته على هذا النحو .

عقد (رومانوف) حاجبيه ، وهو يقول في غضب :

— لقد أخبرتك بذلك ألف مرة أنها الرقيق .

تطلّع إليه (ياكوف) بلا انفعال ، ثم غمغم :

— أعظم أنه من الأفضل أن يبلغ الكرملين بما حدث (*) .

* الكرملين : مقر الحكم السوفيتي .

صحيح (رومانوف) ، وقال :

— لست أزيد هذه الفكرة أيها الرفيق (ياكوف) .

استدار إليه (ياكوف) ، وسأله في حدة :

— ولماذا ؟

أجاب (رومانوف) في هدوء :

— لأنه سيكون من الغفيل أن نلغهم باعطاء جاسوس ،

داخل إدارة مكافحة التجسس ، دون أن نعلم له على أثر ..

سيكون هذا ألرب إلى الكوميديا المبكية .

عقد (ياكوف) حاجبيه في سخط ، على حين قال

(إيفانوف) :

— هذا صحيح .

هبط (ياكوف) في غضب :

— لا بد إذن من العزوف عليه .

ساد الصمت لحظة أخرى ، ثم قال (رومانوف) :

— إلى أن يتم هذا ، هناك إجراء طي وأقنى عاجل ، لا بد

من اتخاذ أولاً .

سأله (ياكوف) في عصبية :

— وما هو ؟

أجاب (رومانوف) في هدوء :

— أن نبعد الفتاة المصرية عن هنا .

تصلمت يد (ياكوف) في طرفها لسجارتته ، على حين

حدق (إيفانوف) في وجه (رومانوف) بدهشة ، وتابع هذا

الأخو في هدوء :

— لقد عرف هذا الشيطان مكانها ، ولا ريب أن هذا

سيصبح حوله انوغا من التوت ، يفوق علاجها ، ويؤخر عملية

شفاها ، واستعادها للذكرها .

خيم الصمت طويلاً ، ثم ارتسمت ابتسامة خامضة عجيبة

على شفهي (ياكوف) ، وغمغم في هدوء :

— إذن فهذا هو ما تقترحه .

أجاب (رومانوف) في هدوء :

— هذا ما أراه صحيحاً .

نكت (ياكوف) دُخان سجارتته في هدوء وبطء ، ثم خفض

عينيه ، وقال :

— لا بأس ، ولكن هناك أمراً يثير غيظي .

أسرع (إيفانوف) يسأله :

— أي أمر هذا ؟

عقد (ياكوف) كفيه خلف ظهره ، وأخذ يتحرك في
الحجرة صامتاً بعض الوقت ، ثم قال دون أن يواجه أيّاً من
الرجلين بوجهه :

— لقد أثار هروب ذلك الشيطان خيبرتي منذ البداية ..
لأنّ الفلذة التي — من المفروض أنه — هرب منها ، تطلّ مباشرة
على فناء الإدارة ، حيث يعاين دائماً جنود الحراسة .. ثم إنه
من العجيب عدم محاولته اصطحاب الفتاة ، التي عاظر بحياته
من أجلها .

غشم (إيفانوف) :

— وماذا يعني هذا ؟

رفع (ياكوف) عينه إلى (رومانوف) ، وتابع وكأنه لم
يسمع (إيفانوف) :

— وأنت أمرت رجالك بحراسة الحجرة ، وبشديد
الحراسة على النافذة ، ثم تطلب الآن اصطحاب الفتاة إلى
مخارج المكان .. كل هذا يثير خيبرتي أيّاً الرقيق
(رومانوف) .

عقد (رومانوف) حاجبيه في غضب ، وقال :

— أفضح عما تعبه أيّاً الرقيق .

رفع (ياكوف) مآبته أمام وجهه ، وقال وهو يتسم
نفس الابتسامة الغامضة :

— أغني أن المكان الوحيد ، الذي لم نبحث فيه عن ذلك
الشيطان هو حجرة المصرية ، لأنك أمرت الجميع بمغادرتها ،
وطلبت من الجنود عدم السماح لأى كائن سواك بدخولها .
نهض (إيفانوف) من مقعده ، وعلمهم في تولكر :

— ماذا يعني هذا ؟

أشار (ياكوف) إلى (رومانوف) ، وقال في هدوء :

— إن ما أعنيه ببساطة يا عزيزي (إيفانوف) ، أن
الراقف أمامنا ليس (رومانوف) الحقيقي ، وإنما هو ذلك
الشيطان المصري (أدهم صبرى) .

ولى لمح البصر ، انتزع (رومانوف) مسدسه ، وصوّبه
إلى الرجلين ، وهو يتسم ابتسامة ساخرة ، بدت مثيرة
للدهشة وسط ملامحه الصارمة ، وقال في هدوء :

— أحسنت يا عزيزي (ياكوف) .. أنت حقّاً أكثر
الشياطين عبقرية في علم الاستنتاج .. إن كل كلمة نطقت بها
كانت حقيقة .. حقيقة نمانا .

٦ - الخروج من الجحيم ..

ساد صمت قليل عجيب لى حجرة (ياكوف) ، إلى أن قطعته (إيفانوف) لى دخول :
— مستحيل !!

نلت (ياكوف) دُخان سيجارته لى هدوء عجيب ، وهو يتطلع إلى (أدهم) ، قائلاً :
— لقد أخبرتك من قبل ، أنه مع هذا الشيطان لا يوجد المستحيل يا (إيفانوف) .

هبط (إيفانوف) ، ولم يزايله ذهوله بعد :
— ولكن اللامح والصوت و

اختطف الكلمات لى حلقه ، لمنعه من الاستمرار ، على حين انبسم (أدهم) ، وقال :

— لقد كانت الفكرة وليدة اللحظة يا صديقى ، لقد كشف (رومانوف) شخصيتى ، فاضطرت لهاجه .. ولما كنت أتوقع وصول (ياكوف) الأصلى لى آية لحظة ، أسرعت

بعمل قناع يحمل وجه (رومانوف) ، وانصعلت شخصيته ، ووضعت (رومانوف) لى حوان حجرة (منى) ، ولن يسعد وجهه قبل ساعة على الأقل .. ثم خدعت ضابط الأمن بقصة ملفقة ، تحمل الكثير من الحقيقة ، وأسرت بإغلاق الحجرة ، وعدم السماح لأحد بدخولها ، حتى لا يكشف أحد وجود (رومانوف) الفاعل الوعى ، إلا بعد اصطحاب (منى) لى الخارج و

ضحك (ياكوف) فجأة ، وقاطع (أدهم) قائلاً :
— كم أتمنى لو أنك واحد منا أياها المصرى .
نظر إليه (إيفانوف) لى دهشة ، على حين استورد هو ، دون أن يرفع عينيه عن (أدهم) :

— إننى أحترم العاقرة دائماً لى مجاننا هذا ، وأعلم جيداً أن الظروف قد تضطر بعضنا للمصادمة مع البعض الآخر ، ولى هذه الحالة يسمى كل منا للنصر والتفوق ، وهذه هى قواعد اللعبة لى عالمنا .

نلت دُخان سيجارته مرةً أخرى ، وعاد يتابع :
— قد نتعارب طويلًا ، ولكن حرمانًا دائماً تكون حرمانًا نظيفة .. لكل منا يسمى من أجل وطنه ، ولكن قواعد اللعبة قد تضطرنا للتخلي عن هذه النظافة من أجل النصر .

سأله (أدهم) في برود :

— ما الذى تهدف إليه من وراء هذه المحاضرة الطويلة ؟

ايكوف (ياكوف) ، وقال :

— أريد أن أقول إننى قد كشفت خدعتك منذ ساعة على الأقل ، ولكنى كنت أنتظر منك أن تقع فى هذا الخطيئ ، وتطلب الحصول على الفتاة بأية حيلة كانت ، ولكن فترة الانتظار هذه لم تضع عبثا .

وبرقت عيناه بريق شيطاني . وهو يردف قائلا :

— لقد اكتسبت خبرة كافية ، من صراعاتي الطويلة معك أيها الشيطان .. وأصبحت لدى القدرة على استنتاج خطواتك القادمة ، وأساليبك الشيطانية المعقدة .. وحينما كشفت لكعبك ، طلبت من ضابط الأمن إحاطة حجرة مكتبى بالجنود ، وإلقاء القبض عليك فور خروجك من هنا ، ما لم أصحبك أنا ، أو (إيفانوف) .. وطلبت من جنود العاصمة إحاطة السفارة المصرية ، وعدم السماح لأى كائن من كان يدعوها ، أو الخروج منها ، تحت ادعاء وجود قبيلة فى المكان .. وهكذا تجد نفسك بين شقى الرُحى .. فالخروج من الإدارة أصبح مستحيلا ، وحتى لو نجحت فيه ، فستجد كل

الطرق مسدودة أمامك ، ولن يمكنك العودة إلى السفارة .. كما لن يمكنك عبور أى من حدود الاتحاد السوفيتى .. فلقد ضاعفت الحراسة على الحدود ثلاث مرات ، ولن يمكنك عبور نقطة واحدة من نقاط الحدود ، دون تصريح خاص منى .

العقد حاجبا (أدهم) فى غضب ، على حين أطلق (ياكوف) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

— لقد ولعت أخيرا أيها الشيطان المصرى ، ولن يمكنك الخروج من هذا الجميع قط .

صمت عجيب ذلك الذى ساد فى الحجرة ، فى الدقيقة التى

تلت حديث (ياكوف) ..

(ياكوف) كان يحدق فى وجه (أدهم) فى ظفر ، ولقمة ..

(إيفانوف) كان يحاول استيعاب هذا السيل من الألفاظ ، والاستنتاجات ، الذى انهال عليه ..

أنا (أدهم) فقد نمت ملامحه عن تفكير عميق ، ثم لم يلبث أن قطع الصمت ، قائلا فى هدوء :

— لحظة واحدة أيها الرفيق (ياكوف) ، ولكنها تحوى فكرة واضحة كإعادة .

هف (ياكوف) في جلة :
— أتحدثك .

ابسم (أدهم) ، وقال :

— إنني أبل الصلبي يا عزيزي (ياكوف) ، ولكن
تذكر أن (رومانوف) وخلفه هو المصنوع من مبادرة
مكتبك .

ابسم (ياكوف) في سخرية ، وقال :

— لا توجد قوة في الأرض ، يمكنها إجباري أنا ، أو
(إيفانوف) على معاونتك .

قال (أدهم) في برود :

— لن أطلب معاونة أحدا كما أيا الرفيق ، ولكنك
ستعاونني دون أن تدري .

عقد (ياكوف) حاجبيه ، وقال في عصيئة :

— مستحيل !!

ول هدوء شديد ، نزع (أدهم) القناع الذي يحمل
ملاح (رومانوف) عن وجهه ، فراجع (ياكوف)
و (إيفانوف) في ذهول ، فقد كانت ملاح أدهم تحت
القناع ، تحمل وجه (ياكوف) تماما ..

احتبست الكلمات في حلق (إيفانوف) من شدة
الذهول ، عل حين غمهم (ياكوف) :

— هذا مستحيل !!

قال (أدهم) في برود :

— كنت أوقع أن احتاج إلى ملاحك مرة أخرى ،
فاحتفظت بها و

ولجأة .. انقض (ياكوف) على (أدهم) ، وهو
هف :

— لن هزمي مرة أخرى .. لن فعل .

ول توافق عجب ، انقض (إيفانوف) بدوره على
(أدهم) ، وقرّر السوفييتان هزيمة (رجل المستحيل) هذه
المرة مهما كان الثمن .

* * *

من الضروري أن نذكر أن رجال مكتب مكافحة
التجسس السوفييتي ، يطلقون تهربات ربيعة المستري ، تجعل
من الواحد منهم مقاتلاً ، لا يشق له غبار ، ويدعى مدبروهم
أن الرجل الواحد قادر على هزيمة ستة رجال أشداء بدراعيه
العازبين ..

ولقد كان (أدهم) يواجه اثنين منهما ..

وكان الموقف حقاً عسيراً ..

لقد قتال (أدهم) السابق مع هؤلاء الرجال ، كان يعتمد على ما يسمى بالحرب الحاطقة ، والهجوم المباغت .. أما هذه المرة فقد كانا هما البادئين ..

كان (أدهم) يمسك مسدسه ، ويمكنه ببساطة متناهية إطلاق النار عليهما ، ولكنه لم يفعل .. ولو أنه فعل .. لو أنه أطلق النار على رجلين أعززين من السلاح ، ما كان هو (أدهم صوى) الذى نعرفه ..

لقد غاص (أدهم) إلى أسفل ، متفادياً لكمية (ياكوف) ، ثم مال يساراً متجنباً ضربة (إيفانوف) ، وانصب واقفاً على حين غرة ، وهوى على فك (إيفانوف) بلكمة ساحقة ، ثم أعقبها بأخرى فى معدة هذا الأخير ، ودار على عقبه كرافض باليه محترف ، وركل (ياكوف) فى أنفه ، ثم وهى على فكّه بلكمة من يساره ، تبعها ثانية يمينه ، على عنق (ياكوف) .. و انتهى الصراع .

وقف (أدهم) لحظة يتأمل الرجلين ، اللذين فقدوا



قال (أدهم) فى برود :

— كنت أتوقع أن أحاج إلى ملائكتك ، مرة أخرى ، فاحتفظت بها ..

وعبيها ، وحرك رأسه في أسف ، ثم رفع عينيه إلى الجبال
المدللة من ستائر النافذة ، وغمغم :

— يؤسفني أنني مخلوق من نوع غير قابل للاستسلام
يا عزيزي (ياكوف) ، ولا بد لي من أن أحاول ، والله وحده
يعلم إن كان قد قلرتي الخروج من هذا الجحيم الظلم أم لا ؟

٧ — نار بلا دُخان ..

طرق ضابط الأمن باب مكتب (ياكوف) ، وانتظر لحظة
حتى رأى وجه هذا الأخير أمام الباب ، فهبط في انفعال :
— لقد كانت نظرتك سليمة يا سيدي .. لقد عازنا على
الرقيق (روماتوف) الأصل مقبلاً في صوان حجرة الأسيرة
المصيبة .

أدعته أن سألته (ياكوف) في برود :

— أين هو ؟

صاح ضابط الأمن :

— في حجرته يا سيدي . وهو ذلتر للغاية ، وبهذه رهبة
ذلك احتمال الشيطان ، الذي انتحل شخصيته .

خطا (ياكوف) خارج حجرته ، وأخلق بابها خلفه في
إحكام ، وقال :

— لقد أقمنا القبض عليه في الداخل ، والرقيق
(إيفاتوف) يقوم باستجوابه شخصياً .. لنف بنفسك حرمة
المكان ، ولا تسمح لأي مخلوق بالدخول ، حتى أعود إليك .



غشم ضابط الأمن في دهشة .

— أحرمه بنفسى ؟!

رأت (ياكوف) على كتفه ، وقال في صرامة :

— أنت الوحيد الذى آمنه تقضى الآن أيها الرفيق .

انضخت أوداج ضابط الأمن ، ورفع يده بالتحية

العسكرية ، وهو يقول في حماس :

— إننى أظفر بذلك يا سيدي .

ثم انتزع مسكبه ، ورسم على ملامحه الصرامة ، ووقف

أمام الباب كالطود .. فاجبهم (ياكوف) ، وقال :

— حسنًا فعلت أيها الرفيق .

ازداد شعور الضابط فى نفس ضابط الأمن ، ولكنه لم يلمح

تلك الاصابة الساعسة ، التى ارتسمت على وجه

(ياكوف) ، بعد أن استدار ليبعد في خطوات سريعة ..

لم يكن (ياكوف) هذا سوى (أدهم) متكبرًا ، ولقد توجه

من فورده إلى حجرة (منى) وأشار إلى جنود الحراسة ، قائلاً :

— أحضروا هذه المصرية إلى سيارتى .

ثم أسرع إلى سيارته مرفوع الرأس في غطمة ، وجلس في

مقعدها الخلفى يدخن واحدة من السجائر السوفيتية ،

على حين أدار السائق محرك السيارة ، وانتظر الأمر

بالانطلاق ..

مرّت لحظات ثقيلة ، قبل أن تصل (منى) ، وحولها ثلاثة

من جنود الحراسة ، أحل أحدهم المقعد المجاور للسائق ، على

حين دفعها الأتحران إلى جوار (أدهم) ، على المقعد الخلفى ،

وهنا قال (أدهم) للسائق في لحظة امرأة :

— إلى الكرملين .

انطلق السائق بالسيارة على الفور ، وغير بوابة المنى ، ثم

اندفع في الطريق إلى قلب (موسكو) .. ظلت (منى)

ساكنة بعض الوقت ، وهى تطل بصرها ما بين الطريق

والسائق ، والرجل الجالس إلى جوارها ، ثم غشمت في

خبرة :

— ماذا يريد منى رجال الكرملين ؟

اجبهم (أدهم) ، وقال بالعربية :

— يريدون إرسالك إلى موطنك .

استعت عينها في ذهول ، وغشمت وهى تتراجع في

خوف :

— من أنت ؟

* وفي ليلة .. ارتفع سدس (أدهم) من جيب معطفه ،
وانتهت فرحته إلى السائق ، والجندى الذى يجلس إلى جواره ،
واسعاد (أدهم) صوته الأصل ، وهو يقول فى حجة امرأة
ساحرة :

— جُفَاءً .. لقد انتهت الرحلة هنا بالنسبة إليكما .

أوقف السائق السيارة فى جُلَّة ، وصاح فى إحباط :

— يا للشيطان !!

على حين سقطت تلك الجندى السفل ، وأفلت مدفعه
الرشاش من يده ، ووقع يديه عاليةً ، حتى أن كلبه ارتطمنا
بسلف السيارة ، فقال (أدهم) فى هدوء :

— والآن .. اعبثا من السيارة ، وانطلقا غلغلاً بالقص
سرعة .

أطاع الرجلان الأمر ، ونسابقا مع الريح فى غلغلهما ،
حتى ابعدا تمامًا ، فنادى (أدهم) السيارة وهو يقول :

— انظر إلى المقعد الأمامى يا عزيزى ، فما زال أمامنا
طريق طويل ، حتى نغمر أبواب هذا الجمجم .

غادرت (منى) المقعد الخلفى ، وانضلت إلى المقعد
الأمامى فى استسلام ، وأخذت تملق فى وجه (أدهم) بخبرة
بالغة ، وهو يدير محرك السيارة ، ثم سأله :

— من أنت ؟ .. ولماذا تفعل كل هذا من أجل ؟

أوقف (أدهم) محرك السيارة ، ومال نحوها قائلاً :

— حاول أن تتذكرى يا عزيزتى .. أنا (أدهم
صوى) .. زميل عملك فى التقارير المصرية .. ولقد عشنا
معا عشرات المغامرات ، فى معظم دول العالم ، وواجهنا الموت
أكثر من مرة ، مع (المافيا) ، و (مكورييون) ،
و (الموساد) .. وتحديدا عباقرة عالم التقارير ، مثل (حاييم
شيمون) ، (سونيا جراهام) و (جيمس براند)
و (أدوين مارشال) .. وطاردنا سلطات الدول العظمى
كلها .. ألا تذكرين شيئاً من هذا ؟

لم تحرك ساكناً ، وهى تتأمل فى خيرة وشروء ..

كان جزء من عقلها يجد صدى لهذه الأسماء والكلمات ،
على حين كان الجزء الآخر يصنع ما يشبه الضباب حولها ..
كانت تشعر بنار تسير فى أعماق عقلها ..

نار بلا دخان ..

نار تبث فى جسدها رجفة الطبع ..

وشعر (أدهم) بما تعانيه ، فتهد فى خيرة ، وأسند ظهره
إلى مسند مقعده ، وأغلق عينيه ..

لم يكن يدري ما ينبغي أن يفعله ، لمعاونتها على استعادة
ذاكرتها ، ولكنه كان مسعفاً لدفع نصف عمره من أجل
ذلك .. فجأحهما في اجتياز هيب الثلج هذا يحتاج إلى عقلها ،
وإلى ذاكرتها واستجاباتها ، وإلا لسيزداد الأمر صعوبة ،
وسيصبح حقاً مستحيلاً ..

أورفته خيبرته شعوراً بالاحتياق ، وشعر أنه لم يعد يحمل
ملاع (ياكوف) التي يحملها ، لمُد يده في هدوء ، والتزع
من فوق وجهه القناع ، الذي يحمل وجه (ياكوف) ..
لم يكذب بلعل ، حتى التفت عنها (منى) ، وتراجعت في
ذهول ..

مرق وجه (أدهم) الواسع من عينها ، وملا قلبها ، ثم
تصاعد مع ذمائها إلى رأسها ، وانخطت بجران خيبرتها ، التي
لفزت إلى لسانها ، فوجدت نفسها تهبط في حرارة :
— (أدهم) !!؟ .. يا إلهي !! أنت على قيد الحياة ؟ ..
أنت حي ؟

اجتمعت عنها (أدهم) بريق اللهفة والأمل ، على حين
صاحت (منى) وهي تطلعت حرقاً في خيرة :
— أين نحن ؟ .. هل نجحنا في الفرار من (ياكوف) ؟ ..

عجيباً !! .. لقد انقطعت مريدة الجو كثيراً ، ولم تعد الثلوج
تغلا كل شيء .

انطلقت من صدر (أدهم) زفرة قوية ، تشقت عن
ارتياحه وظفروه . ثم انقطت كف (منى) الرقيقة بين راحتيه ،
وهتف في حرارة وحنان :

— لقد انتهت الثلوج وذابت يا (منى) .. وأشرفت
شمس الأمل من جديد .

ازدادت خيبرتها ، وهي تقول :

— ماذا حدث ؟ .. هناك شيء لا أفهمه .

أطلق ضحكة ألغى بها كل انفعالاته ، ثم عاد يدير محرك
السيارة ، قائلاً :

— سأشرح لك كل شيء يا عزيزتي .. أمّا الآن فقد
انبعثت في عروني قوة جديدة ، قوة كافية لإطفاء نيران الجحيم
كله .. وبلا دُخان .

ياسر

www.dvd4arab.com

٨ - بلا أمل ..

وقف ضابط الأمن في إدارة مكافحة التجسس يرتجف ، وهو يقول محاولاً الدفاع عن نفسه :

— أي إنسان كان سيقع في الفخ نفسه أيها الرفيق الجوال .. لقد كان هذا الشيطان يشبهك تمامًا في صوته ، ولوائحه ، وملاحجه ، وحتى أسلوبه .. أي مخلوق كان سيخدع فيه ، حتى زوجته نفسها .

تذكر (ياكوف) كيف أن زوجته لم تكشف خداع (آدم) ، وهو يتحمل شخصيته ، فقد حابه ، وعمهم في غضب :

— لقد خدعنا جميعًا .

ثم ضرب سطح مكتبه بقضبه ، وقال في خنق :

— ولكن أين ذهب ؟

وللب كفيه في خيرة ، وهو يستورد :

— لقد أغلقنا البلاد تمامًا ، فكل من يسر في الشوارع يم

تطيشه في دلفة ، وأخذ بصمات أصابعه .. ويطبق هذه الإجراءات بشكل أكثر صرامة في المطارات والموانئ ، وحول السفارة المصرية ، ولا أثر لهذا الشيطان .

هز (إيفانوف) رأسه في خيرة بالغة ، وقال :

— لقد غر رجالنا على السيارة الخوية ، وهم يؤكدون أن أحدا لم يغادر السفارة المصرية قط منذ البارحة ، وكل الحدود مغلقة في حزم ، وهو يبدو وكأنه قد تبحر مع زميلته .

عمهم (ياكوف) في خنق :

— إنها هنا .

رفع (إيفانوف) عينيه إليه في دهشة وتساؤل ، فعاد يديق

سطح مكتبه بقضبه ، وهو يردف في غضب :

— إنها هنا في (موسكو) ، وأقسم على ذلك .

عمهم (إيفانوف) في خيرة :

— ولكن أين ؟

زلق (ياكوف) عينيه إلى سقف الحجرة ، وقال في خنق :

— حتى أعلم يا صديقي .. لن يبدأ لي بال .

في واحد من أحياء (موسكو) العريقة ، حيث تكتظ

أولاً (حازم) برأسه موافقاً ، وقال :

— إنهم لم يزوجونا بعد .. فأنا و (قدرى) نقيم في هذا المنزل ، بحسبة يوغوسلافية ، منذ غادرت أنت السفارة خلف (منى) .. ولقد أتينا هنا هروباً إلى هنا ، دون أن يراك أحد ، ولن يفكر أحدهم في تفتيش منازل (موسكو) كلها ، واحداً بعد الآخر .

غمغم (أدهم) في سخرية :

— إذن لقد انتقلنا من سجن إلى سجن .

هز (حازم) كتفيه في خيرة ، وقال :

— وماذا يمكننا أن نفعل ؟ كل (روسيا) محاطة برفابة صارمة ، ولا يمكن حتى لرجال الأمن عبور حدودها ، دون خطاب خاص من (ياكوف) .

استدار (أدهم) إلى (قدرى) ، وسأله :

— ألا يمكنك تزوير توقيعك ؟

هبط (قدرى) في استكار :

— هل تسألني يا (أدهم) ؟.. إنني أستطيع تزوير توقيع

الشیطان نفسه ، ولكنني أحتاج إلى رؤية توقيع واحد على الأقل .

المناطق بالسكان ، ول منزل صغير بسيط ، رفع (قدرى) كؤوبا من الشاي إلى شفطيه ، ورشف كمية كبيرة منه جرعة واحدة ، ثم ابتسم وهو يقول في مرح :

— لهذا كنت أتمنى عودتك إلينا يا (منى) فأنت تصنعين أفضل كوب شاي في العالم .

ضحكت (منى) ، وهي تقول :

— ماذا سنفعل إذن ، حينما تنذوق وجبة المكرونة التي أعدتها لك .

ابتسمت عينا (قدرى) ، واهتز جسده البدين في سعادة ، وهو يقول :

— يا إلهي !! سأطلب ترقيطك عندما نعود إلى القاهرة .

لم يكذب بطلق بعبارة هذه ، حتى تولاه الدم ، فقد انطلقا بريق المرح فجأة من عيني (منى) ، واكتست ملامحها بالحزن وغية الأمل ، على حين تبادل (أدهم) و (حازم) نظرات ذات معنى ، وقال (أدهم) :

— يبدو أن عودتنا إلى القاهرة متأخرة بعض الوقت يا (قدرى) .. فلقد أثار هروبنا جنون السوفيت ، حتى أنهم لا يريدون السماح لبعوضة عبور حدودهم .

عقد (حازم) حاجيه ، وقال :

— الحصول على توقيع من (ياكوف) أكثر صعوبة من
الحصول على توقيع الشيطان نفسه .

تعلقت عيون الجميع بوجه (أدهم) ، وكأنهم يبحثون عنده
عن الحل .. فعقد حاجيه بدوره ، وشبك أصابع كفيه خلف
ظهره ، وظهرت على وجهه دلائل التفكير العميق ، ثم رفع
رأسه إلى أعلى ، وقال لي هدوء :

— أعطد أن لدى وسيلة للحصول على توقيع
(ياكوف) ، وتصريح حقيقى منه بعبورنا الحدود .

أولست الدهشة على وجوه الجميع ، وهتفت (منى) :
— تصريح منه ١٢ .. هل جرح بك الخيال يا (أدهم) ؟
هز رأسه نفياً ، فيما نحيل إليهم أنه حزن عميق ، ثم أشرح
عنهم بوجهه ، وقال :

— صديقنا (ياكوف) يؤمن بأن كل الوسائل مباحة
للتصريح ، في حرب المخابرات .. ولكننى أعطد أن رأيه هذا
سيغير كثيراً ، حينما يذوق طعم هذه الأساليب .

تبادل الثلاثة نظرات غبرى ، ثم سأله (حازم) :
— ما الذى ترى أن تفعله بالضبط يا (أدهم) ؟

غمغم دون أن ينظر إليهم :

— سأجبره على مخالفة ما يؤمن به ، وسأجعله يعاوننا على
الحرب بنفسه .

سألته (منى) في خيرة :

— كيف ؟

ساد الصمت لحظة ، ثم غمغم (أدهم) في أسف :

— سأعطف ابنة الوحيدة .. سأعطف (مارتينا) .



٩ - الجريمة ..

عاد الطريق (ياكوف) إلى منزله في منتصف الليل ، وقد بلغ الإرهاق منه مبلغه ، وأغلق باب المنزل خلفه ، ثم تحسّس كئيس الحلوى في جيب معطفه ، ودار بعينه بحثاً عن ابنته ، وقد أدهشه أنها لم يمرح إليه كعادتها كل مساء .. ولما طال انتظاره لها نادىها في صوت هادئ ، ولم يكده يفعل حتى برزت زوجته على باب حجرة ابنته ، شاحبة الوجه ، ذابلة العينين ، ووجهها مبلل بالدموع ، فارتجف قلب (ياكوف) خوفاً ، وهتف :

— ماذا حدث ؟ .. أين (مارتينا) ؟

لم تبس زوجته بحرف واحد ، ولكنها ولعت يدها إليه برسالة ، احتفظها من يدها ، ولصقتها في خلفه ، ثم شعر بساقيه تعجزان عن حمله ، وهو يقرأ أول سطورها ، فانهار فوق أقرب مقعد إليه ، وغناه تتابعان الرسالة ، التي تقول كلماتها :

« معذرة أيها العزيز (ياكوف) .. ابنتك (مارتينا) ستبقى ضيفة عيدي ، حتى أحصل على تصريح موثق منك ، لخروجي

وزميلي من بلادك .. وأعاهد أن هذا سيني الصراع ، وسيضع حداً مريحاً للجميع .. (ا . ص) . »

تبلمت عينا (ياكوف) بالدموع ، على الرغم من ملامحه الصارمة ، وكانت هذه هي أول مرة ترى فيها زوجها دموعه ..

كان (ياكوف) صارخاً ، قاسياً في كل ما يتعلق بعمله ، ولكنه كان عطفياً ، حانياً في كل ما يتعلق بابنته الوحيدة (مارتينا) ..

كانت هي التي ، الوحيد ، الذي مازال يحفظ له بمشاعر آدمية ، والذي مازال قلبه ينبض من أجله ..

تصلبت عينا (ياكوف) ، وغلّ صامتاً واجتاً ، حتى هطت به زوجته :

— انتحى مايريد يا (ياكوف) ، ودعنا نستعد

(مارتينا) .

غمغم في حشونة :

— اصمتي .

صاحت في غضب :

— كلاً يا (ياكوف) .. إنني ألزم الصمت دائماً في كل

ما يتعلق بعملك ، ولكنني لن أصمت فيما يخص ابنتي .

— إني أكره ما تفعل .. إنه يجعلنا أشبه بمصاصات
(المانيا) .

غمغم (قدرى) :

— وأنا أبحث .

نهض (أدهم) من مقعده ، وسار إلى النافذة صامتاً ،
وظل يقف أمامها بعض الوقت ، ثم قال فى هدوء :
— إنها وميلتا الوحيدة للفرار من هنا .

قالت (مى) :

— ربّما .. ولكنى لا أميل إلى ذلك .

غمغم (أدهم) فى ضيق :

— يبدو أننا نطق جميعاً فى هذا الشعور بأصدقائنا .. فصل

الرغم من قناعتي التامة ، أن هذه هى الفرصة الوحيدة أمامنا ،
إلا أن بكاء الطفلة يمزق مشاعرى ، ويورثنى شعوراً بالذالة
والجسنة .

ثم استدار إليهم ، وقال فى حزم :

— يبدو أن طبعنا مخالف طبيعة رجال المخابرات فى الدول

الأخرى بارفاق .. واعتقد أننا سنضطر لإعادة الصغيرة ،

حتى لا نوسع مخابراتنا بهذه الجريمة إلى الأبد .

٦٥

رفع إليها عينين شاردتين ، مبتلين بالدموع ، وغمغم فى
استسلام ، لأول مرة فى حياته :

— إن ما يطلبه منى جريمة يا (فولجا) .. جريمة فى حق
الوطن .

تفجرت من عيناها الدموع ، وهى تقول :

— كل ما يعينى الآن هو ابتعا يا (ياكوف) .

نهض (ياكوف) من مقعده ، وأعد يدور فى الحجرة ،
وملاحظه تشق عن خثرته ، وقلقه ، وعذابه ، ثم التفت إلى
زوجته ، وقال فى هدوء ، لا يعبر عما يعتل فى نفسه :

— حسناً يا (فولجا) .. سنسعيد (مارتينا) .

اجتمع رجال المخابرات المصرية الثلاثة ، حول مائدة

صغيرة ، تتوسط زهرة المنزل ، الذى يقيمون فيه فى

(موسكو) ، وكان الشرود يبدو فى ملاحظتهم ، حتى بدت

(مى) على عتبة إحدى الحجرات ، فالتفت إليها (أدهم) ،

وسألها :

— هل نامت الصغيرة ؟

أومأت (مى) برأسها إيجاباً ، ثم قالت فى ضيق :

٦٤



.. إلا أن بكاء الطفلة يمزق مشاعري ، ويردني شعورًا بالذلة والخساسة ..

جلس (ياكوف) في حجرة مكبته صامتًا ، معتدًا بذقنه
على البضعية المضمومتين ، محدقًا في كيس الحلوى ، الذي
وجده أمامه فوق المكتب ...

كان يحاول إيجاد مخرج ، من العذاب الذي يصابه ..

كان عليه أن يختار ما بين شتين إلى قلبه .. وطنه وابنته ..

وكان الاختيار عسيرًا ..

ولكن لا مفر منه ..

وأخيرًا .. استقر رأيه على قرار خطير ، مرق جزءًا كبيرًا

من نياط قلبه ، ولكنه اتخذ في حزم شديد ، وفي صرامة
مطلقة ..

وفي هدوء عجيب ، التفت ساعدة هاتفه ، وأدار رقم

إدارة مكافحة التجسس .. ولم يكذب يسمع صوت محدثه من
الطرف الآخر ، حتى قال :

— صيلى بالرفيق (إيفانوف) .. أنا (ياكوف) .

انتظر حتى جاءه صوت (إيفانوف) ، فقال :

— لقد اختطف الشيطان المصرى ابنتى يا (إيفانوف) ،

ويطلب تصريح خروج من البلاد ، مقابل إعادتها .

ساد الصمت لحظة ، ثم هتف (إيفانوف) :

— وماذا ترى أن تفعل ؟

أغلق (ياكوف) عيبيه ، وكأنه يحاول استجماع

شجاعته ، ثم قال لي انفعال :

— سأنتظر بطاعته ، وسعد له فحًا .

صاح (إيفانوف) :

— وابنتك أيها الرفيق الجنرال .

سالت دمعته حزينة من عيني (ياكوف) ، وهو يقول لي :

صرامة :

— الوطن أولاً يا (إيفانوف) .

ولفجأة . تسلل إلى أذن (ياكوف) صوت هادئ ،

يقول :

— إنسى أحرم قرارك هذا أيها الرقيق .

أخلق (ياكوف) سعادة الخائف في حركة حاذقة ،
واستداز إلى مصدر الصوت ، وهنا تطجرت في أعماقه مشاعر
شني .. لهنالك كان يقف (أدهم صوي) ، عاقدا كفيه خلف
ظهره ، وإلى جواره وقفت (مارتينا) ، التي هبت في
سعادة :

— أي !! لقد عدت !!



١٠ — فارس من مصر ..

والتي هي مشاعر الأثرة ..

لقد اندفع (ياكوف) نحو ابنته ، واحتضنها في حنان دافئ ،
متناسيا وجود (أدهم) ثامنا ، وحملها إلى مكتبه ، والنقط
كيس الحلوى ، ودفعه إلى كفيها الصغيرتين ، وهو يظف :
— هاك كيس الحلوى يا (مارتينا) .. إن والدك لا ينساه

أبتا .

القطط (مارتينا) كيس الحلوى في فرح ، وضحككت وهي
تقول ، مشيرة إلى (أدهم) :
— لقد أحضر لي صديقك هذا كمية ضخمة من الحلوى ..
ولكنني كنت أتوق لحلوكة هذه يا أبتاه .

رفع (ياكوف) عينيه إلى (أدهم) في امتنان ، ثم أسرع إلى باب
مكتبه ، وهو ينوي مناداة زوجته ، ولكنه لوجئ بها تندفع إلى
الحجرة ، وتحضن ابنتها في قوة ، وتنال عليها بالقبلات ، ثم ترفع
عينها إلى (أدهم) ، وتقول في سعادة ، ودموع الفرح تملأ وجهها :

— شكراً يا سيدي .. شكراً .

خفص (أدهم) عينه في أسف ، وغغم :

— لم أستطع أن أفعل سوى ذلك يا سيدي .

تطلع (ياكوف) إلى (أدهم) في خيرة ، وسأله :

— لماذا أعدتها ؟ .. لقد كانت فرصتك الوحيدة .

هز (أدهم) كتفيه ، وقال :

— سأجد فرصة أخرى ولا ريب ، ولكنها لن تكون على

حساب طفلة صغيرة .

تألفت نظرة احترام في عيني (ياكوف) ، والهرب من

(أدهم) ، حتى التفت عيناها ، ثم قال في صوت يموج

بتيارات الاحترام :

— لقد قرأت وسمعت كثيراً عن شهامة فرسان العرب ،

ولكنها أول مرة أواجه فيها موقفاً رائعاً كهذا .

ثم مد يده بصافح (أدهم) ، قائلاً في قوة :

— أنت فارس حقيقي أيها المصري .. فارس من مصر .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— وأنت رجل مخلص لو ظنك أيها الرفيق (ياكوف) ..

وأنا أحترم كل إنسان يخلص لوطنه .

ابتسم (ياكوف) ابتسامة شاحبة ، ثم عقد حاجبيه ،
والفت إلى زوجته ، قائلاً في حزم :

— نخدي (مارتينا) ، واتركينا وحدنا يا (لولجا) .

منحت (لولجا) (أدهم) ابتسامة امتنان ، ثم غادرت

حجرة المكتب .. وهما عاد (ياكوف) يلمض إلى (أدهم) ،

قائلاً :

— هل تتوقع مقابلة لإعادتك ابنتي ؟

هز (أدهم) رأسه نفيًا في هدوء ، وأجاب وهو يتسم :

— مطلقاً .. بل إنني أتوقع منك أن تحاول إلقاء القبض

على الآن .

عقد (ياكوف) حاجبيه ، وقال في صرامة :

— هذا واجبي .

التخذ (أدهم) وقفة قتالية ، وأجاب في هدوء :

— وواجبي أنا ينحتم على محاولة الفرار أيها الرفيق .

ظل كلاهما يتطلع إلى الآخر لحظة ، ثم أشار (ياكوف)

إلى النافذة ، وقال في هدوء :

— هيّا إذن .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— هل تدعوني إلى القمار ؟

هز (ياكوف) رأسه نفياً ، وأجاب :

— بل أدعوك إلى المحاولة .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يحاول أن يفهم ما يعنيه

كلمات (ياكوف) ..

هل يحاول معارضة علي القزاز ، تمييزاً عن امتائه لاستعادته

ابنته ؟ ..

بدا هذا لـ (أدهم) مستحيلاً .. فهو يخالف طبيعة

(ياكوف) الصارمة ، التي دفعت منذ لحظات إلى التضحية

بابنته الوحيدة ، من أجل وطنه ..

ولكن (أدهم) قرّر انتهاز الفرصة ، وتراجع بالفعل نحو

النافذة في حذر .. وقبل أن يصل إليها ، اندفع (إيفانوف) فجأة إلى

الحجرة ، وخلفه خمسة جنود ، صوبوا مدافعهم الرشاشة إلى

(أدهم) ، وابستم (ياكوف) في ظفره ، على حين صباح

(إيفانوف) :

— لا تحاول القفز من النافذة أيها الشيطان المصري ..

فهناك كمية كاملة من الجنود السوفيت تحيط بالمنزل ، ولديها

أوامر صارمة بإطلاق النار ، على كل من يحاوله دون

صحتي .. لقد وقعت هذه المرة لاحتالة .

٧٢

تحركت (منى) في عصبية ، داخل زحمة المنزل السوفيتي
الصغير ، وأخذت تنظر من النافذة بين حين وآخر ، في انتظار
عودة رفاقها الثلاثة .. وأخيراً وصل (قنري) و (حازم) ،
فسألتهما في توتر :

— أين (أدهم) ؟

فتح (قنري) شفاهه ليقول ، ولكن الانفعال غلبه ،

فعاد يطبق شفاهه ، وأشاح بوجهه عنها ، على حين قال

(حازم) :

— لقد ألقوا القبض عليه .

انهارت فرق مقعد قريب ، وهي تهبط :

— يا إلهي !!

قال (حازم) ، وهو يقاوم انفعاله :

— لقد كنا نراقب منزل (ياكوف) ، كما طلب منا

(أدهم) .. وقبل أن يغادر هو المنزل ، أحاطت به كمية من

الجند .. وبعد لحظات رأينا (إيفانوف) و (ياكوف)

يغادran المنزل ، ومعهما (أدهم) ، تحت حراسة ثلثة من

الجند ، بمدافعهم الرشاشة .

خفت (منى) دموعاً سالت على خديها . وهي تسأل :

— إلى أين أخذوه ؟

أجابها (حازم) :

— إلى إدارة مكافحة التجسس .

أحبت رأسها ، وأخذت تكسى في صمت ، فنهض (قدرى) من مقعده ، ورثث على كتفها ، وهو يقول :

— لا عليك يا (منى) .. هيا أعدي حقائبك ، فلابد لنا من أن ننتقل الآن ، حتى يمكننا بلوغ الحدود السوفيتية الفنلندية قبل الفجر .

رفعت رأسها إليه ، وهي تقول في ألم :

— هل تتركه هنا ؟

تهدأ ، وقال في ضيق :

— ينبغي أن نفعل يا عزيزتى ، ولا عسى أنها أوامره ، وإن ما حدث حتى الآن يوافق لحظته تماماً .

جففت دموعها ، وهي تقول في حزن :

— نعم .. ما زالت الخطّة تسير على النهج الذى وضعه ..

وباناً من لحظة ١١

١١ — وحده ..

جلس (أدهم) هادئاً في حجرة (ياكوف) ، بإدارة مكافحة التجسس ، على حين جلس (إيشانوف) يتأمله في اهتمام ، ووقف (ياكوف) أمامه يدخن واحدة من سجائره ، وكان الصمت هو المسيطر الأول على جو الحجرة ، حتى قال (ياكوف) :

— أعطد أنها النهاية أيها المصرى .

اجسم (أدهم) ، وهو يقول في هدوء :

— نعم أعطد ذلك .

ثم رفع عينيه إلى (ياكوف) ، وأردف في سخرية :

— هل كنت تعلم أن هذا سيحدث ؟

أوماً (ياكوف) برأسه موافقاً ، وأجاب :

— ليس على هذا النحو بالضبط .. ولكننى كنت واقفاً

من أنك ستعود إلى منزلى ، مادمت لم تحدد موعد أو مكان

حصولك على التصريح ، في خطابك الأول .. ثم إن صوتك

كان مسموعا ولا يب للرفيق (إيقانوف) غير الخائف ، حينما
فاجأني عودك ، وأنا أتحدث إليه ، ولقد أغلقت أنا الخط
بحركة حاذقة ، كهيئة البشارة بيته .. وكنت واقفا أنه سيرج إلى
منزلى ، مع عدد كاف من الجنود ، وأنه لن يترك لك فرصة
للفرار هذه المرة .

اسم (أدهم) ، وقال متيخنا :

— أنت عبارة بارجال مكتب مكافحة التجسس .

نظر إليه (ياكوف) في صمت ، ثم سأله في اهتمام :

— هناك أشياء عديدة ، أريد معرفتها منك .

أجابته (أدهم) في بساطة :

— مثل ما بدالك .

جذب (ياكوف) مقعدها ، وجلس في مواجهة (أدهم)

غائما ، ثم سأله في اهتمام شديد :

— كيف أمكنت التسلل أكثر من مرة ، غير حرس منزلى

الخاص ؟ وكيف نجحت في اختطاف اجنى ، والعودة بها ،

دون أن يشعر بك أحد منهم ، على الرغم من تدريبهم الفائق ،

ومهارتهم الشديدة ؟ وكيف

قاطعه (أدهم) في هدوء ، قائلا :

— هذه أمور نعلها بالغة السرية في دولتي أيها الرفيق ،
وإذا كنت تود معرفتها حقاً ، فسأعيرك بها وخذنا .

هتف (ياكوف) في لحظة :

— لا بأس .

قفز (إيقانوف) من مقعده ، وصاح :

— مهلاً أيها الرفيق الجنرال .. إنه يحاول خداعنا مرة
أخرى .

هتف (ياكوف) في عصبية :

— وماذا يمكنه أن يفعل ؟.. لقد جردناه من كل ما يملكه ،

ويدها مقيدتان بالأغلال ، وسأقيم حراسة مكثفة على حجرتي

و

قاطعه (إيقانوف) في توتر :

— نحن لا ندرى شيئاً من أساليب التحقيقات المصرية أيها

الرفيق الجنرال ، ومن الجائز أنه يعمل ببعض الأدوات السرية

في أزرار معطفه ، أو بظافته ، أو

قاطعه (ياكوف) هذه المرة ، وهو يقول :

— حسناً .. حسناً .. سيخرج ملائمه كلها ، ويتردى

ملائس من هنا ، ثم أجمع به وخذنا .. عليك إحاطة الحجرة

كلها ، بما في ذلك نوافلها بالجد ، ومزجهم بإطلاق النار عليه ، إذا ما حاول الفرار .

ثم استدار إلى (أدهم) ، وسأله في عصبية :
— هل توافق على هذا ؟

اجسم (أدهم) في هدوء غامض ، وأجاب :
— بالطبع .. إنه يوافق مع رأيي تمامًا .

جلس (ياكوف) يتأمل (أدهم) طويلًا ، بعد أن أصبحا وحدهما في حجرة مكبته ، ثم قال بعد فترة طويلة من الصمت :

— والآن .. هات ما لديك .

اجسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— هل تظن تحطّلك هذه المرأة عالية من التفرات ؟

اعتدل (ياكوف) ، وهو يقول في صرامة :

— لاشك لدى في هذا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

— اصبح لي إذن أن أقول إنها تحوى نفرة كبيرة ، لم تنبه

أنت إليها .

عقد (ياكوف) حاجبه ، وقال في تولّر :

— أية نفرة هذه ؟

أشار (أدهم) إلى وجهه ، وقال في هدوء :

— هذه ليست ملاهى الأصلية .

اجسم (ياكوف) في سخرية ، وقال :

— يا لها من خدعة ساذجة هذه المرأة أيها المصري !! هل

نسيت أنني أعرف ملائحتك الأصلية جيدًا ، منذ اعطتلك لي

(سيبريا) .

قال (أدهم) في هدوء :

— كما تشاء .

ثم مدّ يده ، وانتزع فجأة قناعًا يحمل ملائحته من فوق

وجهه ، ومن أسفله ظهر قناع آخر ، جعل (ياكوف)

يتراجع في ذهول ، فقد كانت ملامح القناع الجديد تحمل وجهه

هو .. وبدقة مذهلة ..

ول عمرة هذه المفاجأة المذهلة ، ففز (أدهم) فجأة غير

المكعب ، وهزى بقيضيه المضمومتين ، اللتين تضمهما

الأغلال الحديدية على فكّ (ياكوف) .

أخذ (إيفانوف) يسير في فلق جنة وذهاباً ، أمام حجرة
(ياكوف) ، ثم بلغ اتفعله ذروته ، عندما فتح باب
الحجرة ، وظهر (ياكوف) على عتبة ، فأسرع إليه
(إيفانوف) ، وسأله في تولر :

— هل أدلى إليك باعتراقه ؟

هز (ياكوف) رأسه نفياً ، وأجاب :

— لقد تظاهر بذلك ، ثم هاجني بغتة ، ولكنني أفقدته

الوعي .

هتف (إيفانوف) في دهشة :

— أفقدته الوعي .

أشار (أدهم) ، الذي يتحل شخصية (ياكوف) ، إلى

داخل الحجرة ، وقال :

— لقد نجحت في ذلك هذه المرة ، وها هو ذا .

تطّلع (إيفانوف) إلى (ياكوف) ، الذي وضع

(أدهم) القناع الذي يحمل ملامحه فوق وجهه ، ورأى

الأغلال التي نقلها (أدهم) إلى يدي (ياكوف) ، وقال :

— ماذا نفعل به ؟

هز (أدهم) كتفيه ، وقال :



قفز (أدهم) فجأة عبر المكتب ، وهوى شبعته المضمومين ،

التيين تصمهما الأغلال الحديدية على فلك (ياكوف) ..

— ضعه في إحدى زنايات الإدارة ، حتى أعود إليه غداً .

سأله (إيفانوف) في اهتمام :

— هل ستصرف الآن ؟

أجابوه وهو يتحرك مغادراً المكان :

— نعم .. إنني أشعر بإرهاق شديد .

تطلع إليه (إيفانوف) في خيرة وهو يتصرف ، ثم التفت إلى أحد الجنود ، وقال في صرامة :

— هيا .. ألقوا بهذا الشيطان في إحدى زناياتنا ، حتى صباح الغد .



١٢ — الطريق إلى الحرية ..

في الطريق الموصل ما بين مدينة (ليننجراد) السوفيتية ، والحدود الفنلندية .. تطلعت النقيب (منى توفيق) في ساعة يدها بقلق ، ثم هزّت رأسها في توتر ، وهي تقول :

— إنها الثانية عشرة ظهراً ، وهو لم يصل بعد .. أعشى أن يكون قد فشل في الهروب .

ازدرد (قدرى) لعابه ، وغمغم :

— (أدهم) قادر على الإفلات من الموت نفسه ، ثم إن كل شيء معد ، ولا ينقصنا سوى توقيع واحد من (ياكوف) ، فنقله . وننتقل إلى الحرية .

غمغمت (منى) ، وكأنها تتحدث نفسها :

— كل شيء ؟

أجاب (حازم) :

— نعم أيتها النقيب .. لقد نجحنا في الوصول إلى هنا بمجوازاتنا ، التي تحمل الجنسية اليوغوسلافية ، والتي أضاف إليها

صديقنا القدير (قدرى) ناشوة دخول إلى الأراضي
الفتلندية .. كما أننا نحمل تصريحا خاصا بمرورنا غير الحدود
السوفيتية ، ولا يتفصده — كما قال صديقنا (قدرى) — سوى
التوقيع .

هفت (منى) في حق :

— ليس هذا ما يشغلنى ، وإنما أنا قلقة على (أدهم) و
برتت عبارتها فجأة ، حينما تناهى إلى مسامعها صوت
هليوكوبتر تقترب ، ولم تلبث أن لاحظت فوقهم ، وبدأت تدور
حول نفسها ، وكأنها بهم بالهبوط ، فهتفت (قدرى) في مرح :
— يا إلهى !! .. هليوكوبتر عسكرية ؟ .. أراهن أنه
(أدهم) .. يا له من رجل !!

استمرت الهليوكوبتر فوق الأرض ، على بعد أمتار قليلة
منهم ، ثم فصح بابها ، وظهر على عتبة (ياكوف) ، الذى
تطلع إليهم مبتسما ، ثم هبط من الهليوكوبتر ، واقترب منهم
بخطوات هادئة ثابتة ، فابتسم (حازم) ، وقال :

— (أدهم) يجيد تمثيل دور (ياكوف) بإتقان مذهل ..
ولولا معرفتى أنه يتحمل شخصيته ، لأقسمت أن القادم بحرنا
هو (ياكوف) نفسه .

أطلق (قدرى) ضحكة خافتة ، على حين عقدت (منى)
حاجبيها ، وهى تتمنئ في وجه القادم ، ثم تراجعت في حدة ،
وهفت بصوت مسموع :

— يا إلهى !! .. إنه (ياكوف) حقا .

التفت (حازم) و (قدرى) إليها في دهشة ، ثم عادا
يحدقان في وجه القادم ، الذى أجابهم في هدوء :

— إنها حققة أيها السادة .. أنا (ياكوف) الأصلى .

ومن داخل الطائرة ، برز فجأة عشرة من الجنود السوفيت ،
صوبوا مدافعهم الرشاشة إلى صدور أفراد الخبايا المصرية
الثلاثة ، على حين استطرد (ياكوف) في شتماته :

— أعطد أنها نهاية الرحلة يا سادة .

كان الموقف محبطا للغاية ، حتى أن (حازم) و (قدرى)
قد شعرا بسخط شديد ، على حين هتفت (منى) في ذعر :

— أين (أدهم) ؟ .. ماذا أصابه ؟

ابتسم (ياكوف) ، وقال :

— إنه شيطان رفيقك هذا يا سيدتى .. واطمئنى ، فهو
الآن مطلق السراح ، ويتحمل شخصيتى في مهارة .. ولقد كاد

يعدني عن الأحداث تمامًا ، لولا أن استعدت وعي في اللحظة المناسبة ، ولم يكن من العسير إثبات شخصيتي .. ثم درست الأمر في هدوء ، فوجدت طريقًا واحدًا ، يمكنكم اجتيازه ، للخروج من البلاد .. وهنا قررت أن أسبق شيطانكم إلى هنا ، والفلوكوبر كما تعلمون أسرع كثيرًا من السيارة .
تنهدت (منى) في ارتياح ، وهظت :

— إذن فهو مطلق السراح .. جدًا لله .
تطلع إليها (ياكوف) في دهشة ، ثم هز رأسه في خيرة ، وقال :
— ندهشني كثيرًا تلك الروابط العجيبة بينكم يا أفراد الاخبايرات المصرية ، فالواحد منكم لا يزال بمصره ، في سيل الآخرين .. هذا مدهش حقًا .

أسرع (حازم) يقول :
— لا صلة لنا باخبايرات المصرية أيها الرفيق .
تطلع إليه (ياكوف) لحظة ، ثم أطلق ضحكة عالية ، وقال :

— لم نعد هناك فائدة من الإنكار يا رجل .. لقد أصبحنا نلعب حيفًا بأوراق مكشوفة .
ثم أردف في عشونة :

— والآن .. منى وعدم هذا الشيطان المصري بالخطور ؟
قالت (منى) في حق :
— يمكنك أن تظننا ، ولكنك لن تحصل منا على كلمة واحدة .

ابسم (ياكوف) في سخرية ، وقال :
— حسنًا يا سيدتي .. إنني لن أظنكم ، ولكنني سأنتظر معكم وصول شيطانكم هنا .
ولجأة .. البعث من الطائرة صوت ساخر يقول في هدوء :
— اطمئن .. إنك لن تنتظر كثيرًا أيها الرفيق .

كثيرة هي المفاجآت التي تعرض لها (ياكوف) في هذه العملية ..

كثيرة حتى أنه كاد ينهار ، حينما رأى أن قائد الفلوكوبر ، التي ألقته إلى هنا ، لم يكن سوى (أدهم صبرى) نفسه ، الذي كان يضرب مسدسه إلى الجيوب العشرة ، وهو يتسم في سخرية ، وهظت (منى) في حراة :
— (أدهم) ؟ .. جدًا لله .
غمغم (ياكوف) في إحباط :

أجابته (أدهم) في هدوء :

— لقد فهم كل منا الآخر جيدًا يا عزيزي (ياكوف) .. حتى أننى أيقنت ، أصبحت أجد استعناج خطواتك .. وكنت أعلم بالطبع ، أن المسافة من (موسكو) إلى هنا أطول من أن أقطعها بالسيارة ، قبل أن تكشف أنت أمرنا ، لذا فقد اكتشيت بمقدرة إدارة مكافحة التجسس ، ثم فقدت قائد المليون كوبر الحاصلة بك وعيه ، واتحلت شخصيته ، وانتظرت ، وأنا واثق من أنك ستعزل الذهب بالمليون كوبر ، اختصارًا للوقت .. ولقد كان .

تغلب (ياكوف) على أثر المفاجأة في سرعة ، وانصبت قائمه ، وهو يقول في حرامة :

— لن أصبح لك بالفار الآن أيها المصرى .

ثم صاح في جنوده :

— أطلقوا النار يارفاق .. سيؤلفى من يقاتله منكم .

استدار الجنود في سرعة اليرق ، وانطلقت رصاصات مدافعهم الرشاشة العشرة في آن واحد ، واخطط صوت الرصاصات بصرخة دُعر ، انطلقت من بين شفتى (منى) .

١٣ — الصراع الأخير ..

انهزم سيل من الرصاص على (أدهم صوى) ، وأطلق هو رصاصاته ..

كان من المستحيل حقًا أن تواجه رصاصات مسدسه الثانية ، عشرة جنود مدافعهم الرشاشة ، لذا فقد نزع (حازم) و (منى) مسدسهما ، وشاركاه في إطلاق النار ..

أطارت رصاصات (أدهم) المدافع الرشاشة ، ستة جنود في الثانية الأولى ، ثم شعر برصاصة تخترق صدره ، من جانبه الأيمن ، وبثانية تعبر ذراعه ، ثم رأى رصاصات (منى) و (حازم) تصيب جنديين سوفيتين ، فرفع ذراعه اليسرى ، وهو يهتف :

— كلاً يا رفاق .. لا تطلقوا الرصاص على ظهورهم .

وفجأة احترقت رصاصة ثالثة فخذه ، فتهأزى ساقطاً على ركبيه ، وانهز (ياكوف) فريضة سقوط (أدهم) ، وجزع ولغله ، فأطارت مسدسى (حازم) و (منى) برصاصات مسدسه ، ثم صاح في رجاله :

— سيطروا على الموقف يا رفاق .

القط الجنود مدافعهم الرشاشة ، وصوبوها إلى
(أدهم) ، الذى أصبح عاجزاً عن القتال ، من كثرة ما ناله
من رصاصهم ، وإلى (حازم) و (منى) ، اللذين قدما
سلاحهما ، وإلى (قدرى) ، الذى اهتز جسده البدين ،
وهو يغمغم لى حق :

— يا لىلى !!.. إن طعم المزيمة مرّ حقاً .. لقد أفقد شهيتى
تماماً .

ولف (ياكوف) يتأمل انتصاره الحقيقى لأول مرة ،
وهو عائد حاجبه ، وكفّيه خلف ظهره ، ثم توقفت نظراته
عند وجه (أدهم) ، الذى لم توارفه ابتسامته الساخرة ، على
الرغم من إصاباته البالغة ، ثم رفع عينيه إلى (حازم) ، وسأله
لى هدوء :

— كيف كنتم تتوون مغادرة الاتحاد السوفيتى ؟

أجابه (حازم) لى بساطة :

— كنا مستزوّرون توقيعك على تصريح مرور .

أطرق (ياكوف) برأيه خلسة ، ثم عاد يسأل
(حازم) :

— ومن منكم سيفعل ذلك ؟

أجابه (قدرى) لى تحد :

— إنه أنا .

تطلّع إليه (ياكوف) لى هدوء ، وب نظرة غلظ من العداء
تماماً ، ثم مدّ يده إليه ، وقال :

— أين هذا التصريح ؟

ناولته (قدرى) التصريح ، فتأمله (ياكوف) لى اهتمام ،
ثم ابتسم ، وأخرج من جيبه ورقة ، فردها أمام وجه
(قدرى) ، وهو يقول :

— ها هوذا توقيعى أسفل هذه الورقة .. هل يمكنك

تقليده ؟

وبدلاً من أن يجيبه (قدرى) ، اكتمى بنظرة طويلة على
التوقيع ، ثم حاول قلّبه ، وذبل التصريح ، بتوقيع يصعب
تمييزه عن توقيع (ياكوف) الأصيل ، لى بساطة متناهية ..
فابتسم (ياكوف) ، وقال :

— هذا رائع .

ثم انضمت إلى جنوده ، وقال لى صرامة :

— انقلوا هذا الجريح إلى سيارة رفاقه .. سأقودهم وحيدى
إلى أقرب نقطة حراسة .

سأله أحد الجنود في دهشة ، وكأنه يحاول التأكد مما سمعه :

— وحدك يا سيدي الرقيق الجبرال ؟؟

عقد (ياكوف) حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

— نعم .. وحدي أنا الرقيق الجندي .

جلس (حازم) و (منى) في المقعد الخلفي للسيارة ، منهكين في تصميم جروح (أدهم) ، على حين جلس (قندى) بحمده اليدين في المقعد الأمامي ، إلى جوار (ياكوف) ، الذي كان يقود السيارة نفسه ، دون أن يلتفت إلى ركبها ، وكأنه يوليهم لقته المطفلة .. فالتفت (منى) على أذن (أدهم) وهمت :

— إنه مغرور .. يمكننا أن نزيهه و

قاطعها (أدهم) ، وهو يقول في صوت مرهق :

— تحدثي بصوت مسموع يا عزيزتي .. لصديقنا (ياكوف) لا ينوي إيذاءنا بالمرّة .

نقل الجميع أبعاصهم في دهشة ، بين (أدهم) و (ياكوف) ، الذي قال في هدوء :

— كيف عرفت أنها الرقيق (أدهم) ؟

أشار (أدهم) إلى الطريق ، وقال :

— إنك تقود السيارة نحو الحدود السوفيتية ، وليس العكس .

ساد الصمت لحظة ، ثم أردف (أدهم) :

— ذغني أنا أسألك ، لم فعلت ذلك ؟

ختم على جوف السيارة صمت ثقيل ، ثم أجاب (ياكوف) :

— لست أدري أنها الرقيق (أدهم) .. ولكنني اتخذت هذا القرار ، عندما سمعتك تهبط برفاقك ، طائبا منهم عدم إطلاق النار على الجنود في ظهورهم ، في حين أن هؤلاء الجنود يطلقون النار عليك .

صمت مرّة ثانية ، ثم أردف :

— لقد رأيت في حياقي صورة عديدة للشهامة والبرصية ، ولكنها المرّة الأولى التي أرى فيها مثل هذا الموقف ، ورجل مطلق أنها الرقيق (أدهم) ، لا يستحق مني سوى الإعجاب والاحترام فقط .

ثم أوقف السيارة ، واستطرد في هدوء :

— لديكم الآن تصريح مرور يحمل توقيعاً يشبه توقيعى ،
وسيوكد الحشود بعد فراقكم أنه مزور .. كما أن أحدنا لن يشك
في أقرانى ، حينما أقول إنكم باغتمولى ، وأفقدغولى الوعى ،
وهرورغى فى أثناء غيبوبتى .

أسرع (حازم) يحمل مقعد القيادة ، عل حين بدا
(ياكوف) مهموماً ، وهو يقول لـ (أدهم) :
— أنا لست خائفاً لو طس أياها الرقيق (أدهم) ، ولكنى
أجد نفسى عاجزاً عن إبدالك .

حاول أن يتسم ، ولكنه فشل وهو يستطرد :
— لست أدرى لماذا ؟ .. ربما لأنك أعدت لى أبتى لى
شهامة لم أعهد لها فى عالمنا .. أو ربما لأنك أعظم رجل مخبرات
رأيت فى حياتى .. حقيقة لست أدرى .

ثم أشار إلى الطريق ، وقال :

— والآن انطلقوا .. قبل أن أبدل آرائى .

هبط (أدهم) من السيارة ومد يده يصفح (ياكوف)
فى حرارة ، عل الرغم من جروح الخطورة ، وقال فى
احترام :

— لن أنساك أبداً أياها الرقيق (ياكوف) .. وأريد منك
أن تذكر دائماً أنه هناك صديق لك فى مصر ، لن ينسى أبداً
موقفك هذا .

تبادل الرجلان نظرة عميقة ، ثم عاد (أدهم) إلى
السيارة ، التى انطلقت أخيراً نحو الحرية ، تاركاً (ياكوف)
خلفها ، يتابعها ببصره وهو يغمغم :

— وداعاً يا رجل المخبرات المصرى .. وداعاً يا أعظم
رجل مخبرات فى العالم .



١٤ — الختام ..

ازدحت حجرة (أدهم صبرى) ، فى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى ، بالزائرين من رجال إدارةخبارات العامة المصرية .. يحتفونه بسلامة العودة ، وبالشفاء من جراحه الخطيرة .. وقال مدير الاخبارات ، وهو يترن على كتف (أدهم) :

— لقد كانت عملية والعلة يا (أدهم) ، وإن الثلث أعصابنا لأربعة شهور كاملة .

ابنسم (أدهم) وهو يغمغم :

— ولكنها نجحت يا سيدى .

ضحك مدير الاخبارات ، وقال :

— أنت صحيح دائماً يا (أدهم) .

ابنسم (أدهم) ، ثم عاد يسأل مدير الاخبارات فى اهتمام :

— هل عرفتم ماذا أصاب (ياكوف) ؟

مطّ مدير الاخبارات شفاهه فى أسف ، وقال :

— لقد استقال من عمله ، دون أن يطالبه أحد بذلك .

ظهر الحزن على وجه (أدهم) ، وقال :

— كم يؤسفنى ذلك يا سيدى .. إنه رجل رائع .. محلى

لوطه ومبادله ..

أوماً مدير الاخبارات برأسه موافقاً ، وقال :

— ربما كان إخلاصه هذا هو سبب استقاله ، فربما أن

ضميره لم يحتمل البقاء فى منصبه ، بعد أن عاونكم على القرار .

قال (أدهم) :

— لقد فعل ما أملاه عليه ضميره — آنذاك —

يا سيدى .

وافقه مدير الاخبارات بإجماع من رأسه ، ثم أشار إلى

الأخرين ، قائلاً :

— آن موعد العودة إلى الإدارة يا رجال ، فلبى أن نترك

المريض يرنح قليلاً .

غادر الجميع حجرة (أدهم) ، عدا (مى) ، التى

ابنسمت لى خجل ، وهى تقول :

— أتمنى لك الشفاء العاجل يا (أدهم) .

ابنسم لى حنان ، وهو يقول :

— أنا أيتها أمتى الشفاء العاجل ، حتى يتم زواجنا
يا عزيزي .

حدثت لي وجهه بدهشة ، وهتفت لي عجب :

— زواجنا ؟! .. من أوحى لك بهذه الفكرة ؟

عقد (أدهم) حاجيه ، وهو يقول :

— أنت يا عزيزي .. لقد وافقت على الزواج مني في

السفارة المصرية عندما

قاطعت (مني) في جدة :

— لست أذكر أنني فعلت .

غفلم (أدهم) لي خيرة :

— ولكن يا (مني) .

ابسمت لي حيث ، وقالت :

— لا تصب أنني لم أسمع ذاكرتي كلها بعد .

ابسم لي مكر بمائل ، وقال :

— ومنى مستعدين لحظة أعطيني هذا الوعد ؟

نصرُج وجهها بحمرة الخجل ، وقالت :

— لست أدرى .

سألها في حنان :

— هل تعدين بإخباري ، ولقائنا مستعدين كامل ذاكرتك ؟

لهبت مايرمي إليه ، من إعفائها من الحرج .. فقبضت

على كفه بأصابعها الرقيقة ، وقالت لي عاطفة :

— من يدري يا (أدهم) ؟ .. ربما كان ذلك أقرب مما

تصور ، ولكنني أعدك .. أعدك يا (رجل المستحيل) .

[تمت بحمد الله]

باسم

www.dvd4arab.com